

خصائص آدم عليه السلام في سورة البقرة

- دراسة موضوعية -

د. أحمد مخلف عبد

جامعة الانبار – كلية العلوم الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن

م.م ضياء فيصل محمد

ديوان الوقف السني – دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية



المقدمة

الحمد لله الذي خلق آدم من العدم وجعله خليفته في الارض , والصلاة والسلام على المبعوث بالحق بشيراً ونذيراً , وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .أما بعد ان الدوحة القرآنية الباسقة الظلال لا ينتهي ظلها ولا يذهب رونقها , فالقرآن الكريم يحمل في طياته خصائص فريدة ومميزات عظيمة , فهو يختلف من حيث الشكل والمضمون عن الكتب التي سبقته ؛ فهو من حيث الأصل كتاب هداية وهدايته لا تقف عند هدفه الأسمى وهو اخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له , بل هديته تشمل أيضاً معالجة المشكلات الإنسانية في شتى نواحي الحياة العقلية والنفسية ولاجتماعية والسياسية والاقتصادية , من خلال علاجها علاجاً حكيماً يتلائم مع الحاجات الإنسانية , وبما يصلح المجتمعات البشرية , ليكون البلسم الشافي الذي يصلح لكل زمان ومكان , لذلك كان القرآن الكريم وما زال كما جاء في الأثر : (.... لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) (1) .ولذلك كانت وما زالت الموضوعات القرآنية سواء كانت قصصاً أم احكاماً أم عقائد , تمد الباحثين بمختلف اتجاهاتهم وميولهم بما يحتاجون إليه في ابحاثهم ودراساتهم , فالكل يجدون ضالتهم ومطلبهم في هذا القرآن العظيم , والذي يهمنا في هذا المضمار القصص القرآني الذي يحتل مكانة كبيرة ومساحة واسعة في تفسير كتاب الله عز وجل .وقد قررت القصة القرآنية اهدافاً واغراض متعددة تتضمن ارشادات ومواعظ وفوائد تتعلق بحياة الإنسان وعلاقته بخالقه , وقد تضمنت قصص بعض الانبياء خصائص قد يختص بها كل نبي من الانبياء فهم أسوة وقدوة لجميع البشر , لكي يسموا هذا الإنسان على جميع الخلائق الاخرى , ولا يمكن أن يرتكز القصص القرآني ولا سيما قصص الانبياء على جانب واحد من جوانب قصصهم ؛ بل هناك جزيئات كثيرة انفرد فيها كثير من الانبياء , منهم أبينا آدم عليه السلام وقصته في أصل خلق الإنسان , وما تضمنته من حقائق تكاد تنفرد بها سورة البقرة , وهي ما ترتب على قضية استخلاف آدم عليه السلام في الارض , واستعلام الملائكة عن حكمة استخلافه , ومن ثم تعليمه وامتحان الملائكة بهذا العلم ؛ لكي يبين لهم مكانة المستخلف وحكمة استخلافه , وعجزهم أي الملائكة عن الاجابة وإقامة الحجة عليهم ؛ باستحقاق آدم عليه السلام للخلافة وأمره لهم بالسجود له . وانطلاقاً من هذه الحقائق كان سبب اختياري لهذا الموضوع الوقوف على المواعظ والعبر المستفادة من قصص السابقين , ولا سيما ما اشتملت عليه قصة النشأة الأولى قصة أبينا آدم عليه السلام وما اختص به من خصائص سجلها القرآن الكريم لنا التي يقول عنها الإمام الرازي – رحمه الله – : (أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا مسجود الملائكة ؛ وذلك لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً , ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانياً , ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم , وذكر الآن كونه مسجوداً للملائكة) (2) , وتعد هذه الخصائص منهاج حياة لذريته لكي يقوموا بمستلزمات الخلافة في الارض قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (3) وقوله تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (4) وقوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ (5) وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (6) , مما يدل على ان الاستخلاف لا يقف عند أبينا آدم عليه السلام بل يتعداه إلى ذريته , وما ترتب على هذا الاستخلاف من تعليم آدم عليه السلام الذي يرشدنا بدوره إلى أن الاستخلاف في الارض واستعمارها يتطلب من المستخلف أن يكون على علم ودراية وكفاية , لكي يحسن التدبير والادارة والحكم فإذا ما احسن القيام بهذا الاستخلاف وعلى وفق مشيئة الله سبحانه استحق المكانة العظيمة التي جعلها الله له , كما جعلها لأبيه آدم عليه السلام من قبل بسجود الملائكة له .

وعلى ضوء ما تقدم قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة .

أما المقدمة : فبسطت فيها اهمية الموضوع وسبب اختياري له .

المبحث الأول : اختصاص آدم عليه السلام بالخلافة وتضمن مطلبين :

المطلب الأول : معنى الخليفة .

المطلب الثاني : محاورة الملائكة لله سبحانه وتعالى في شأن استخلاف آدم .

المبحث الثاني : اختصاص آدم عليه السلام بالعلم واشتمل على ثلاث مطالب :

المطلب الأول : تعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها وإظهار تفوقه على الملائكة .

المطلب الثاني : اعتراف الملائكة بالعجز التام عن بلوغ علم آدم عليه السلام الذي خصه الله به .

المطلب الثالث : الدليل العملي على جدارة آدم بالخلافة دون الملائكة .

المبحث الثالث : اختصاص آدم عليه السلام بالتكريم بسجود الملائكة له وتضمن مطلبين :

المطلب الأول : كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام .

المطلب الثاني : من هو إبليس .

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم توصلت إليه من نتائج في البحث .

أما منهجي في هذا البحث فكان تلخيص الكم الهائل من اقوال العلماء من أهل التفسير وترجيح اصح الاقوال المشهورة , واستنباط الفوائد العبر والدلالات من هذه القصة , ولا يخفى على القارئ ان هذا الموضوع ليس جديداً , لكن اتمنى على الله تعالى ان اكون قد نفعت به المكتبة العلمية , فكان عملي هو جمع شتات المعلومة في بطون الكتب والذي ارجو الله سبحانه أن ينفع به المسلمين .هذا ما تيسر لي بحثه وكتابته وقد بذلت ما في وسعي وطاقتي , فما كان من صواب فمن الله وما كان من تقصير وخلل فمن الشيطان ومن نفسي , وحسبي اني قد اخلصت النية في هذا البحث خدمة لكتاب الله وتفسيره , سائلاً المولى عز وجل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه أنه ولي ذلك والقادر عليه .وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ...

المبحث الأول اختصاص آدم عليه السلام بالخلافة

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٧) . في هذه الآية قص الله سبحانه وتعالى كيفية النشأة الأولى لخلق الإنسان الأول , وهي قصة خلق أبانا آدم عليه السلام , وكيف أنَّ الله سبحانه كرم هذا الكائن الجديد وعظمه , وخصه بالخلافة والعلم الغزير الذي أعجز الملائكة أن يبلغوه ؛ فاعترفوا بفضله عليهم , وخصه أيضاً بأن أمرهم أن يسجدوا له تكريماً وتشريفاً لهذا المخلوق الجديد الذي أغاض إبليس لعنه الله سبحانه فعصى امر ربه واستكبر وكان من الكافرين المطرودين من رحمة الله تعالى , وتكريم وتشريف أصل النوع الإنساني ممثلاً في أصل البشرية أبانا آدم عليه السلام بخصيصة الخلافة , يستلزم ان يختص بهذه الخاصية ويكرم من تفرع عنه ولهذا يقول الإمام القشيري رحمه الله : (والحق سبحانه وتعالى خلق الجنان بما فيها ، والعرش بما هو عليه من انتظام الأجزاء وكمال الصورة ، ولم يقل إني خالق عرشاً أو جنةً أو ملكاً ، وإنما قال تشريفاً وتخصيصاً لآدم إني جاعل في الأرض خليفة) (٨) . ويقول الإمام البيضاوي رحمه الله : (فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له ، إنعام يعم ذريته) (٩) . وهذا ما ذهب إليه أبي حيان بقوله : (أنه لما امتن عليهم بخلق ما في الأرض لهم ، وكان قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود ، أتبع ذلك ببدء خلقهم ، وامتن عليهم بتشريف أبيهم وتكريمه وجعله خليفة وإسكانه دار كرامته ، وإسجاد الملائكة تعظيماً لشأنه وتنبيهاً على مكانته واختصاصه بالعلم الذي به كمال الذات وتمام الصفات ، ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع ، وشرف الفرع بشرف الأصل) (١٠) . نخلص إلى إن موضوع هذه الآية وهو تخصيص آدم عليه السلام بالخلافة , يقوم على أمرين :

١- معنى الخليفة .

٢- مخاطبة الله سبحانه وتعالى لملائكته , وتعجبهم من استخلاف ما من شأنه الإفساد في الأرض ؛ فكان الحوار والمناظرة بينه سبحانه وتعالى وملائكته مدعاة لإظهار الحكم والأسرار من تخصيص آدم عليه السلام بالخلافة في الأرض .

المطلب الأول : معنى الخليفة :

الخليفة لغة : (اسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان جعله مكانه , وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَه , يقال خَلَفَه في قومه خِلافةً وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ﴾ (١١) , وخَلَفْتُه أيضاً إذا جئت بعده , ويقال خَلَّفْتُ فلاناً أُخَلِّفُه تَخْليفاً , واسْتَخْلَفْتُه أَنا جَعَلْتُه خَليفَتي , واسْتَخْلفه جعله خليفة والخَلِيفةُ الذي يُسْتخْلَفُ ممن قبله , والجمع خلائف جاؤوا به على الأصل مثل كريمةٍ وكرائِمَ , وهو الخَلِيفُ والجمع خُلَفاء , وأَما سيبويه فقال : خَلِيفةٌ وخُلَفاء كَسَّروه تكسير فَعِيلٍ ؛ لأَنه لا يكون إلا للمذكر , هذا نقل ابن سيده , وقال غيره : فَعِيلة بالهاء لا تجمع على فُعَلاء , قال ابن سيده : وأَما خَلائِفُ فعلى لفظ خَلِيفةٍ ... قال الزجاج : جاز أن يقال للأئمة خُلفاء الله في أَرْضِه بقوله عز وجل : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (١٢)) (١٣) .

اصطلاحاً : (الخلافة : النِّيَابَة عَن الغير ، إمَّا لغيبة المنوب عَنهُ ، وَإِمَّا لمَوْته ، وَإِمَّا لعَجزه ، وَإِمَّا لتشريف الْمُسْتَخْلف وعَلى هَذَا اسْتخْلف الله عباده فِي الأَرْض) (١٤) , والخلافة بمعنى تشريف المستخلف هو الذي أشارت إليه الآية , وإضافة إلى التشريف هو عمارة الأرض . (وَالْخَلِيفَة فِي قَوْله : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قَوْلَانِ :

أحدهمَا : أَنه آدم وَالْمرَاد من قَوْله: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ إِلَى آخِره : ذُرِيَّته .

وَالثَّانِي: أَنه ولد آدَم لقَوْله تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (١٥)) (١٦) , وقوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (١٧) وقوله تعالى : ﴿ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ (١٨) ، وخلائف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾(١٩) . هناك إجماع من قبل جميع المفسرين على إن المراد بالخليفة آدم عليه السلام , ولكن تعددت اقوالهم وتباينت حول سبب جعله خليفة , والمقصود بالخلافة , فمنهم من ذهب إلى جعل آدم عليه السلام خليفة عن الملائكة الذين سكنوا الأرض بعد الجن , الذين دب الحسد فيما بينهم , وبغا بعضهم على بعض , فاقتتلوا وأفسدوا , فبعث الله سبحانه وتعالى , جنداً من السماء من الملائكة , يرأسهم إبليس , فهبطوا إلى الأرض , فطردوا الجن إلى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الأرض , وخفف الله عنهم العبادة , وأعطى إبليس ملك الأرض , وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة , فكان يعبد الله سبحانه تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة ؛ فدخله العجب والكبر بالنفس ، فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه من الكبر، فقال له ولجنده : ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ أي بدلاً منكم ورافعكم إليَّ فكرهوا ذلك ؛ لأنهم أهون الملائكة عبادة (٢٠) .ودل على هذا الأمر ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما بقوله : (أول من سكن الأرضَ الجنُّ فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضًا. فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾) (٢١) , وهذا الأثر ضعيف لا يصح الاحتجاج به (٢٢) , مما يدل على عدم صحة القول القائل : ان المقصود بالخلافة أنه كان في الأرض خلق قبل بني آدم ، فكان بنو آدم بدلاً أو خلَفاً عنهم , وذهب إلى تفنيد هذا القول أيضاً العلّامة برهان الدين البقاعيّ (٢٣) , مستدلاً بحديث الإمام مسلم – رحمه الله – (٢٤) والذي يدل بشكل لا لبس إلى إن أول ساكني الأرض آدم عليه السلام ؛ وهذا الأمر بائن من اسمه في بدئه بالهمزة التي هي أول الحروف وختمه بالميم التي هي آخرها وختامها أنه أول ساكنيها بنفسه .وذهب آخرون في تأويل قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ أي خلفًا يخلف بعضهم بعضًا ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله , إذ روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم : (أنّ الله جل ثناؤه قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذُرّيةٌ يُفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً) (٢٥) . واستغني بذكر آدم عليه السلام عن ذكر ذريته , كما يستغنى بذكر أبي القبيلة أي الجد الأعلى للقبيلة عن ذكر أبناءها , كما في قولك مضر وهاشم (٢٦) . وَقيل : إِنَّمَا سمى خَلِيفَة لِأَنَّهُ خَلِيفَة الله سبحانه وتعالى فِي الأَرْض ؛ لإقَامَة شرعه وأَحْكَامه ، وتنفيذ قضاياه ، ودلائل توحيده والحكم بالعدل بين خلقه , وهو آدم عليه السلام ومن قام مقامه من ذريته ، أو بنو آدم يخلفون آدم عليه السلام ، ويخلف بعضهم بعضاً في طاعة الله سبحانه والعمل بالحق ، وعمارة الأرض (٢٧) ، قال السمعاني : (وَهَذَا هُوَ الْأَصَح) (٢٨) ؛ لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي (٢٩) , والاستخلاف من قبل الله سبحانه وتعالى للأنبياء –عليهم السلام– هو نيابة عنه سبحانه وتعالى , وأن كان أبانا آدم عليه السلام قد اختص بالخلافة الأولى ؛ فكل نبي هو خليفته سبحانه وتعالى في ارضه يعمرها , ويسوس ناسها , ويطهر نفوسهم ويكملها , بإقامة أمره فيهم ؛ لا لأن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى من ينوب عنه للقيام بهذه المهمة , ولكن لقصور المستخلف عليه وهم بني آدم عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير واسطة , ولذلك لم يستنبئ ملكاً (٣٠) , وقد وردت آيات كثيرة أشارت إلى هذا المعنى منها قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (٣١) , وقوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ (٣٢) ، وخلائف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٣٣) . ولهذا ذهب ابي السعود إلى أن المراد بالخلافة من جهتين : (إما الخلافةُ من جهته سبحانه في إجراء أحكامِه وتنفيذِ أوامره بين الناس وسياسةِ الخلقِ , لكن لا لحاجةٍ به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعدادِ المستخلَف عليهم , وعدمِ لياقتِهم لقبول الفيضِ بالذات فتختصُّ بالخواصِّ من بنيه , وإما الخلافةُ ممن كان في الأرض قبل ذلك فتعمُّ حينئذ الجميع) (٣٤) أي ان الخلافة تذهب باتجاهين اتجاه مخصوص وهو استخلاف الأنبياء والرسل , واتجاه عام يذهب بإستخلاف عموم بني آدم وهي استعمار الأرض .وقد هيأ الله سبحانه لخلافة آدم عليه السلام وذريته ما يصلح لهم حياتهم ليكونوا مؤهلين لعمارة الأرض فزودهم تبارك وتعالى بكافة الاستعدادات التي لابد منها لعمارة الأرض , كالاستعداد الجنسي من أجل التكاثر , واستعداد حب البقاء والتملك ومن نتيجته هذا التنافس بين الأفراد والشعوب والأمم , وأخيراً استعداد التدين حتى يضبط بهذا الاستعداد الاستعدادات السابقة فلا يطغى بعضها

على بعض , ولا يبغي أحد على الآخر [٣٥] . إذن معنى الخلافة عن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية , سواء كانت مخصوصة بإستخلاف الأنبياء والرسل , أو استخلاف عموم بني آدم , هي تنفيذ أحكام شرعه وأوامره بين الناس , وسياستهم والقيام بأمرهم , وتصريف شؤونهم , ورعاية مصالحهم , ودرء المفاسد عنهم , وهذه المعاني نجدها قد تجسدت في كثير من أقوال الصحابة ﵃ منها : (قيل : سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ ، طلحة والزبير وكعبا وسلمان ﵃ : ما الخليفة من الملك ؟ فقال طلحة والزبير ﵄ : ما ندري ، فقال سلمان ﵁ : الخليفة الذي يعدل في الرّعية ويقسم بينهم بالسّويّة , ويشفق عليهم شفقة الرّجل على أهله , ويقضي بكتاب الله ، فقال كعب ﵁ : ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري ، ولكنّ الله عزّ وجلّ ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلاً) [٣٦] .وروي عن سلمان ﵁ ايضاً : (إنّ عمر ﵁ قال له: أملك أنا أم خليفة ؟ فقال سلمان ﵁ : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته في غير حقّه فأنت ملك , قال: فاستعبر عمر ﵁) [٣٧] .وروي أيضاً : (إنّ معاوية ﵁ كان يقول إذا جلس على المنبر : أيّها الناس إنّ الخلافة ليست لجمع المال ولا تفريقه ، ولكنّ الخلافة بالحقّ والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عزّ وجل) [٣٨] .

المطلب الثاني : محاورة الملائكة لله سبحانه وتعالى في شأن استخلاف آدم ﵇ :

لقد جاء القسم الثاني من هذه الآية ليصور لنا مناظرة وحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته , وتمثل بالقول والمراجعة والسؤال والجواب في شأن استخلاف هذا الكائن الجديد , وما تذرع به الملائكة من مظنة الإفساد وسفك الدماء في حال إستخلافه . ولذلك قال الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾ بشتى أنواع المعاصي والآثام, وجاء بلفظ الإفساد وهو من ألفاظ العموم وخصص بقوله تعالى:﴿ وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ لبيان شدة وبشاعة وعظم مفسدة جريمة القتل وسفك الدماء بغير وجه حق, وهذا ظنهم أي الملائكة, أن الخليفة المجعول سيحدث منه ذلك[٣٩]. ولكن كيف عرف الملائكة وظنوا إن الخليفة المجعول في الأرض سيفسد فيها ويسفك الدماء ؟ أختلف في ذلك أهل العلم على أقوال

القول الأول : أنهم علموا ذلك بإعلام الله تعالى لهم , وإن كان ذلك لم يذكر في السياق , قاله ابن مسعود وابن عباس ﵃ والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابن قتيبة رحمهم الله تعالى[٤٠] , وهو قول أكثر المفسرين كما قاله ابن تيمية [٤١] . يقول ابن القيم رحمه الله:(وفي هذا دلالة على أن الله قد كان أعلمهم أن بني آدم سيفسدون في الأرض ، وإلا فكيف كانوا يقولون ما لا يعلمون ، والله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[٤٢], والملائكة لا تقول ولا تعمل إلا بما تؤمر به لا غير، قال الله تعالى: ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[٤٣][٤٤].

القول الثاني : أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم على الأرض ، وهم الجن ، فقد سبقوا الإنسان في الأرض وكانوا يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فعلمت الملائكة أن البشر سيكونون على حال من سبقهم , روي نحو هذا عن ابن عباس ﵄ وأبي العالية ومقاتل [٤٥] . يقول ابن عطية–رحمه الله–:(إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن , وسفكهم الدماء في الأرض فجاء قولهم : ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا ﴾ على جهة الاستفهام المحض , هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا ؟)[٤٦] .

القول الثالث : أنهم فهموا ذلك من الطبيعة البشرية [٤٧] , يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله– : (فإنهم أرادوا : أن من هذا الجنس من يفعل ذلك ، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية المخلوقة من صلصال من حمأ مسنون) [٤٨], وقد فهموا ذلك من خلال أنه يتكون من اخلاط مركبة, وإن من طبيعته الحقد والغضب , ومن نتائجهما الفساد وسفك الدماء ؛ فلهذا قالوا ذلك [٤٩] وقد أخبر الله سبحانه وتعالى الملائكة عن تركيبة هذا المخلوق العجيب فقال في آية أخرى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [٥٠] إذاً تركيبة هذا المخلوق هو من الصلصال والحمأ المسنون, ومن خصائص الصلصال أنه لا يتماسك كثيراً , بل سرعان ما يتحطم ويتفتت لأنه هش فليس في شدته كالفخار , والحمأ المسنون من خصائصه عدم المحافظة على ذاته فسرعان ما يطرأ عليه الفساد , هاتان خاصيتان عدم التماسك وعدم الاحتفاظ بخاصية الصلاح وطروء الفساد والتغير وهما ملازمتان للإنسان , إلاّ إذا تداركه الله سبحانه بعفوه ورحمته , فإنه حينئذ يكون قوياً بعيداً عن أن يطرأ عليه فساد [٥١] . فالملائكة ربطوا بفراستهم الإيمانية النورانية الحية , بين الإفساد وسفك الدماء , وبين العنصر الترابي الأرضي للخليفة , فالذي عنصره ترابي أرضي يتوقع منه الإفساد وسفك الدماء فكلامهم من باب التوقع والفراسة والبصيرة , ولكن هذا التوقع بالإفساد وسفك الدماء الذي يقع على أيدي الكفار من الناس يعد من لوازم الخلافة , وسنة التدافع التي جعلها الله سبحانه بين الناس , وكذلك يعتبر ضريبة حتمية تدفعها البشرية عندما تزيغ عن منهج الله سبحانه [٥٢] . وفي هذا يقول العلامة

الطاهر ابن عاشور –رحمه الله– : (وإنما ظنوا هذا الظن بهذا المخلوق من جهة ما استشعروه من صفات هذا المخلوق المستخلف ، بإدراكهم النوراني لهيئة تكوينه الجسدية والعقلية والنطقية ، إما بوصف الله لهم هذا الخليفة، أو برؤيتهم صورة تركيبه قبل نفخ الروح فيه وبعده ، والأظهر أنهم رأوه بعد نفخ الروح فيه، فعلموا أنه تركيب يستطيع صاحبه أن يخرج عن الجبلة إلى الاكتساب، وعن الامتثال الى العصيان ... ومجرد مشاهدة الملائكة لهذا المخلوق العجيب المراد جعله خليفة في الأرض كاف في إحاطتهم بما يشتمل عليه من عجائب الصفات) (٥٣) . وقال أيضاً رحمه الله : (وفي هذا ما يغنيك عما تكلف له بعض المفسرين من وجه اطلاع الملائكة على صفات الإنسان قبل بدوها منه **من** توقيف واطلاع على ما في اللوح أي علم الله ، أو قياس على أمة تقدمت وانقرضت ..) (٥٤) .

القول الرابع : أنهم فهموا من قوله تعالى (خليفة) أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم (٥٥) .أي أنه إذا كان هناك خليفة يحكم بين الناس في المظالم ، فإنه يلزم من ذلك أن هؤلاء الناس تقع منهم المظالم .نخلص إلى أنه ليس هناك في هذه الأقوال نصوص صريحة من الكتاب والسنة ترجح أحداها , إنما هي استنتاجات واستنباطات لأهل التفسير وقد تصيب وتخطئ , وعلى العموم فأي أن كان مصدر معرفة الملائكة بأن هذا الخليفة أو ذريته سيفسد في الأرض , فألله سبحانه وتعالى أراد أن نأخذ العبرة والفائدة والعظة من القصة لكي نتعلم ونعتبر ونسترشد منها . ولكن قد يتبادر في أذهاننا سؤال ماذا أراد الله سبحانه في حواره مع ملائكته؟ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ وهل كان السؤال من الملائكة اعتراضاً أو انكاراً على استخلاف آدم عليه السلام أم تعجب ؟ أم استعلام من حكم الله البالغة يعلم بها عباده ويسترشدهم ؟ , وهي الفائدة والعظة من إيراد هذه القصة , لأهل التفسير في ذلك أقوال أيضاً منها :

١– إن سؤالهم لم يكن على سبيل الإنكار أو الاعتراض , ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين ؛ لأنهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول لقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ (٥٦) لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه , ومجبولون على الطاعة لقوله تعالى : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥٧) , وإنما وقع سؤالهم على التعجب فإنهم تعجبوا من كمال حكمة الله تعالى وإحاطة علمه بما خفي عليهم , ولهذا أجابهم بقوله : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾أو التعجب من استخلاف من يعصيه , أو من عصيان من يستخلفه الله سبحانه في أرضه وينعم عليه بذلك , وإما هو استفهام على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين جميعاً الاستخلاف والعصيان (٥٨)

٢– وقيل : إن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في إعظام الله عز وجل (٥٩)

٣– وقيل ابتلى الله سبحانه وتعالى ملائكته بطاعته , إذ روى قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : (إن الله لما أخذ في خلق آدم قالت الملائكة : ما الله خالقٌ خلقًا أكرم عليه منَّا ولا أعلم منَّا ؟ فابتلوا بخلق آدم عليه السلام –وكل خلق مُبْتَلَى– كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة ، فقال الله : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (٦٠) (٦١) .وذهب الإمام الطبري إلى إن الخبر الذي رواه قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه , والذي كان يرى أن قول الملائكة في حوارها مع الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ كانوا غير متيقنين بأن قولهم هذا كائن في الخليفة , ولكن مبتناه الظن والرأي (٦٢) .

٤– قيل خطاب من الله سبحانه وتعالى وحوار مع ملائكته ليس للمشورة ؛ لأن الله سبحانه غني عن مشاورة عباده مهما كانت مكانتهم ودرجتهم , ولكن لاستخراج ما فيهم من رؤية الحركات والعبادة والتسبيح والتقديس ، ثم ردهم إلى قيمتهم ، فقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ (٦٣) (٦٤) , وقد يكون شاورهم اعتباراً لهم مع استغنائه عن مشاورتهم مع علمه بحقائق الأشياء , ولكن ليعلمنا مشاورة ذوي الرأي والمشورة وأهل المعرفة (٦٥) .

٥– قيل أراد الله سبحانه وتعالى في حواره مع ملائكته أن يطلعهم على ما في نفس إبليس من الكبر وأن يظهر ما سبق عليه في علمه : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٦٦) (٦٧) , وهذا ما سنبحثه لاحقاً .

٦– وقيل أن يتجاوز الحوار بما ذكر فيحصل من الملائكة الاعتراف والرجوع , عما كانوا يظنون من كمال العلم , أو أن يظهر مقام آدم عليه السلام وعلو قدره في العلم بقوله لآدم عليه السلام : ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ (٦٨) , أو أن يعلمنا الأدب معه وامتثال الأمر ، عقلنا معناه أو لم نعقله ، لتحصل بذلك الطاعة المحضة (٦٩) .

٧- وقيل إن الله سبحانه أعلم الملائكة أنه سيخلق في الأرض خلقاً يفسدون ويسفكون الدماء , فلما قال لهم الله سبحانه بعد ذلك : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ كان سؤالهم على جهة الاستكشاف والاستعلام , هل هذا هو الخليفة الذي أعلمهم به سبحانه من قبل أو غيره ؛ فكان سؤالهم استخبارٌ , هل يكون الأمر هكذا , كما أنهم علموا أنه ليس هناك شيء ابغض عند الله سبحانه وأكره من الإفساد في الأرض , ولا سيما سفك الدماء – أي قتل النفس المعصومة بدون وجه حق – , فكأنهم استعظموا هذا الأمر ؛ فسألوا عن وجه الحكمة في ذلك إذ علموا أنه عز وجل لا يفعل إلا حكمة ولم يكن سؤالهم على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم عليه السلام والحسد لهم , فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي نصلي لك ... ولا يصدر منا شيء من ذلك , فلما لا يقع الاختيار علينا ؟ فقال الله سبحانه مجيباً عن سؤالهم : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فكان في علم الله سبحانه المصلحة الراجحة في إيجاد هذا الخلق , فإنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون يعمرون الأرض ويصلحونها [٧٠] . إذن ما دار من حاور ومراجعة وقول وسؤال وجواب بين الله سبحانه وملائكته , نحن لا ندرك حقيقته , ولكن نحن على يقين أنه ليس كما يكون بيننا , وأن كنا نجزم بأن هناك مقاصد ودلالات أريد إفادتها بهذه العبارات , وأن الله سبحانه وتعالى كان يعد هذا الكون ويسخره بكل ما فيه لخلفيته , وأن له عنده سبحانه كرامة وتشريف وتخصيص بما أودعه فيه من فضائل ومزايا , فالله سبحانه وتعالى لا يقص علينا شيء من القصص القرآني إلاَّ بذكر المعاني التي تقرب القصة إلى مستوى عقولنا, لنستفيد منها مواعظ ودلالات في تعاملنا وتصرفاتنا وأخلاقنا في حياتنا الدنيا[٧١] منها:

١- هذه الآية أصل في وجوب الإمامة والخلافة كما ذهب إلى ذلك الإمام القرطبي فقال : (هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة , ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة) [٧٢] .

٢- إنما أخبر سبحانه وتعالى الملائكة بقوله : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به ؛ فيعرفوا حكمته في استخلاف آدم عليه السلام وذريته قبل كونهم ، أو ليعلّم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنياً عن المشاورة ، وتعظيم شأن المجعول ، بأن بشّر عز وجل بوجود سكان ملكوته ، ولقبه بالخليفة قبل خلقه ، وإظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم ، وجوابه وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره ، فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك [٧٣] , إذ لا يؤثر حدوث الجناية ، ولا يحط عن رتبة الولاية , من كان شره قليل , وخيره كثير ؛ وذلك أنه تعالى نصب آدم عليه السلام خليفة عنه في أرضه , مع أنه قد سبق في علمه أنه سيقع منه مخالفة أمره وعصيانه قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [٧٤] الذي أوجب خروجه من دار الكرامة والسعادة وأهبطه إلى الأرض التي هي دار الهوان والشقاء ، ومع ذلك لم يسلبه ما ألبسه من خلع كرامته ، ولا حطه عن رتبة خلافته ، بل أجزل له في العطية فقال : ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [٧٥] [٧٦] , وليس المقصود من المعصية هنا المعصية التي حمى الله سبحانه أنبياءه ورسله , إذ ليس الأكل من الشجرة كشرب الخمر أو الزنا أو قتل النفس بغير حق أو فساد في الأرض , وقد وصف الله تبارك أكل آدم عليه السلام من الشجرة بأنه نتيجة نسيان حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [٧٧] والإنسان إذا فعل شيء وهو ناس لا يؤاخذ على فعله , وإنما عاتبه الله سبحانه لتنبيهه وتنبيه ذريته ليحذروا من وسوسة إبليس ودسائسه فيقول تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾ [٧٨] وقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يأكل آدم عليه السلام من الشجرة وهو يعلم سبحانه أنه آكل منها لا محالة ؛ لأنه لابد وأن يسكن الأرض ويعمرها هو وذريته من بعده , ويجعل الله فيهم خيراً كثيراً , وعباداً صالحين وانبياء ومرسلين , ولابد من الابتلاء والامتحان والاختبار في هذه الأرض [٧٩] .

٣- لقد كرم الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بالروح التي أضافها لنفسه تبارك وتعالى فقال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [٨٠] وهو ذلكم السر الذي يؤيَّد به عباده ؛ فيستحقون إن يكرموا بتلك الجذوة التي إذا ما انتشرت في أرجاء النفس شعت منها جوانب الخير , وإذا انحرف عنها عنفه الله سبحانه , ومن أجل ذلك أمتن تبارك وتعالى على هذا الإنسان فكرمه بذلكم العنصر العلوي الذي خُصَّ به آدم عليه السلام فاستحق الخلافة في الأرض [٨١] .

٤- دلت الآية على أن الله تعالى- في عظمته وجلاله- يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعته ، وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه ، لا سيما عند الحيرة والسؤال يكون بالمقال إن كانوا ينطقون ، ويكون بلسان الحال ، بالتوجّه إليه تعالى أن يفيض عليهم بالمعرفة المطلوبة من ينابيعها التي جرت سنته تعالى بأن يفيض منها على خلقه – كالبحث العلميّ ، والاستدلال العقليّ ، والإلهام الإلهيّ – بمعرفة ما أشكل عليهم ؛ فهدى الملائكة في حيرتهم وأجابهم عن سؤالهم بأن أرشدهم إلى الخضوع والتسليم ؛ وذلك أولاً بقوله : بأنه يعلم ما لا يعلمون , ثانياً بالدليل بقوله : علّم آدم الأسماء ، ثم عرضهم على الملائكة (٨٢) كما سيأتي بيانه .

٥- ان الملائكة قابلت الفساد الذي أعظمه الشرك بالله بالتسبيح , وسفكِ الدماء الذي هو تلويث النفس بأبشع الجرائمِ وأقبحها وهو إزهاق الروح بدون وجه حق , بتطهير النفس عن الآثام لا تمدُّحاً بذلك ولا إظهار للمِنة بل بياناً للواقع (٨٣) وهذا تسبيح وتنزيه لله سبحانه وتعالى. . والتسبيح والتنزيه لا يكونان إلا للكمال المطلق الذي لا تشوبه أية شائبة. . والكمال المطلق هو لله سبحانه وتعالى وحده , لذلك صرف الله ألسنة خلقه عن أن يقولوا كلمة سبحانك لغير الله تعالى (٨٤) .

٦- جاء الأخبار عن دواعي استخلاف آدم عليه السلام أو ذريته على وجه الإجمال والإبهام ؛ ليستشرفوا إليها الملائكة ويعلموا إن في المستخلف فضائل غائبة عنهم , فعندما أظهر لهم طرفاً وعاينوها جهاراً , تيقنوا بديع صنعه , وعلموا بأن أفعاله صادرة على ما يوجبه العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة ولم يذكر متعلق قوله : (تعلمون) ليفيد التعميم ويذهب السامع بفكره عند ذلك كل مذهب يمكن أن يصل إليه علم المستخلف , فتنزاح الشُبه ويعترفوا بالعجز ويقروا بالقصور لمن هو أعلم منهم (٨٥) .

٧- بيان أن لا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة وحكمها ، فالملائكة وهم أولى منا بعلمها عجزوا عن معرفتها ؛ لأنه لم نؤت من العلم إلا قليلا ... (٨٦) .

٨- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب المشركين له ومحاجتهم بلا برهان يستندون إليه- بأنه لا بدع في ذلك ، فالملائكة طلبوا الدليل والبرهان من ربهم فيما لا يعلمون ، فالأنبياء يجدر بهم أن يصبروا على المكذبين ويعاملوهم كما عامل الله الملائكة المقربين ، ويأتوهم بالبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة (٨٧) .

٩- إن الله سبحانه وتعالى أودع في في فطرة هذا النوع من الخلق استعداداً وخصائص وقوى لعلم ما لم يعلم غيرهم , كقابلية الاستزادة والتطور , واكتساب معارف وعلوم جديدة , في التعرف على أسرار الكون ، وعمارة الأرض ، واستخراج ما فيها من خيرات وزروع ومعادن ، وبما يؤدي إلى تقدم العلوم والفنون التي شهدنا تفوقها في القرن العشرين , عكس الملائكة فهم على حال واحدة ولا تطرأ عليهم تحول ولا تبدل , لذلك فالملائكة وأن كانوا أشرف قدراً وأعلى وأسمى منزلة , إلا أنهم ليسوا أهلاً للخلافة في الأرض ؛ لأن الخلافة تقتضي استقلالاً في تصريف الشؤون , وتفكيراً وتقديراً للأمور , والإنسان بما له من عقل وإرادة هو المستحق لهذه الخلافة على الأرض , يتولاها عن الله سبحانه كما يتولى الوكيل تصريف الامور عن الاصيل فيضبط أمورها ويسوس شؤونها (٨٨) .

١٠- كما دلت الآية على أنه ليس من الحكمة في شيء , إطلاق الأحكام المسبقة على الاشخاص وبشكل عام , واتهامهم بأمور لا تستند إلى علم يقيني جازم بان جميعهم فعلوا أو سيفعلون كذا وكذا , فإطلاق الأحكام يجب أن يكون مبتناه العلم القاطع أو حسن الظن وليس سوء الظن

المبحث الثاني اختصاص آدم عليه السلام بالعلم

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾ (٨٩) .ننتقل إلى خصيصة أخرى من خصائص آدم عليه السلام اثبتت جدارته بالخلافة دون الملائكة ؛ إذ بين الجزء الأخير من الآية السابقة على وجه الإجمال والإبهام إن فيه فضائل ومزايا أهلته ليكون خليفة الله سبحانه وتعالى في الأرض ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٩٠) فجاءت هذه الآيات لتفصل لنا هذا الجواب الإجمالي بأحقية آدم عليه السلام, من خلال تعليم آدم الأسماء كلها وإظهار ميزته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة فجعله الله سبحانه وتعالى حجة وتبياناً على قوله لهم: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أي ما لا تعلمون من الاسباب والمبررات التي جعلت آدم عليه السلام جديراً بهذه الخلافة, الأمر الذي جعل الملائكة تعترف بالعجز والقصور عما كلفوه عن علم ما لم يعلموه , ثم بين سبحانه من خلال البرهان العملي التطبيقي والواقعي فضل آدم عليه السلام وجدارته بالخلافة بالعلم الذي تفوق فيه على الملائكة فأعلمهم بأسمائهم ومما علمه ربه من أسماء كل شيء .

وبناءاً على ما تقدم سنقسم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب :

المطلب الأول: تعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها وإظهار تفوقه على الملائكة .

المطلب الثاني: اعتراف الملائكة بالعجز التام عن بلوغ علم آدم عليه السلام الذي خصه الله به .

المطلب الثالث : الدليل العملي على جدارة آدم بالخلافة دون الملائكة .

المطلب الأول : تعليم آدم عليه السلام الأسماء كلها وإظهار تفوقه على الملائكة :

بعد أن خص الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بالخلافة , وكان ما كان من موقف الملائكة , عندما سألوا عن وجه الحكمة من الاستخلاف , أجابهم على جهة الإبهام والإجمال بأنه يعلم ما لا يعلمون من اسباب ومبررات جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض , وفي هذا المقام فصل الله سبحانه وتعالى لملائكته وزادهم بياناً في دواعي استخلافه ؛ فبين شرف آدم وفضله عليهم بما اختصه به من علم أسماء الأشياء كلها من دونهم يقول الإمام الرازي : (أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل ، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلوماً لهم ، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي) [٩١] . كما جاء عطف هذا الدليل التفصيلي الذي حكاه الله سبحانه بتعليم آدم الأسماء كلها, على حكاية الاستدلال الإجمالي بقوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٩٢] ليكون حجة على جدارته بالخلافة , كما إن مجيء أسم آدم عليه السلام معطوفاً على مقالة الله سبحانه للملائكة ومحاورتهم له يدل بشكل لا لبس فيه إن الخليفة هو آدم عليه السلام وأن آدم أسم لذلك الخليفة وهذا الأسلوب من بديع الإجمالي والتفصيل والإيجاز [٩٣] .بعد أن تبين لنا أن المقصود بالخليفة آدم عليه السلام , لهذا فإن معرفة تفصيل دواعي استخلافه وفضيلته على الملائكة وقصورهم عن أن يبلغوا منزلته في العلم , يستلزم أن نقف على ماهية التعليم وكيفيته , والمقصود بالأسماء التي علمها الله سبحانه وتعالى لخليفته في الأرض , حتى يتسنى لنا أن نقف على حيثيات خصيصة العلم التي اختص بها .

كيفية التعليم وكيف علم الله سبحانه تعالى آدم عليه السلام من الأمور التي أختلف فيها علماء التفسير على أقوال منها :

١- ذهب بعضهم إلى إن تعليم آدم عليه السلام هو إلهام أي القاء في روعه بخلق علم ضروري بها فيه [٩٤] .

٢- وذهب قوم إن التعليم بقول فإما بواسطة ملك , أو بتكليم الله سبحانه له في السماء قبل هبوطه الأرض فلا يشارك موسى عليه السلام في خاصته [٩٥] .

٣- أما ماهية التعليم فذهب الجمهور إلى أن الله علمه التسميات , وقال قوم عرض عليه الأشخاص وسماهم له عند التعليم , ورجح رأي الجمهور ؛ لأن لفظة علمه تعطي ذلك , وقال قوم بل وصفها له دون عرض أشخاص [٩٦] .

٤- وقيل أن الله سبحانه وتعالى علم آدم عليه السلام كيف يسمي الأشياء ، وليست المسألة تعليمه الأسماء ، لأن التسمية غير الاسم , وقيل علمه أسماء ذريته ، وعرفه العاصي والمطيع ليعرف الملائكة بأسمائهم وأفعالهم رداً على قولهم : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾ [٩٧] [٩٨] .

وسواء كانت كيفية التعليم لآدم عليه السلام بطريقة التلقين بعرض المسمى عليه فإذا راه لُقن اسمه , أو بإلقاء علم ضروري في نفس آدم عليه السلام بحيث يخطر في ذهنه اسم شيء عندما يعرض عليه فيضع له اسماً بأنْ ألهمه وضع الأسماء للأشياء ومعرفة ذواتها وخواصها وصفاتها ؛ فلا فرق في ذلك بين أن يكون هذا العلم الذي أكتسبه سيدنا آدم عليه السلام في آن واحد أو في آنات متعددة , فالله سبحانه قادر على كل شيء , ثم إن هذه القوة العلمية عامة للنوع الآدمي كله , ولا يلزم من ذلك أن يعرف أبناء آدم الأسماء من أول يوم فيكفي في ثبوت هذه القوة لهم معرفة الأشياء بالبحث والاستدلال , فكيفما كانت كيفية التعليم فقد كان سبباً لتفضيل الإنسان على بقية الخلق بقوة النطق وإحداث الموضوعات اللغوية للتعبير عما في الضمير [٩٩] . كما أختلف أهل التأويل في معنى ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءَ ﴾ التي علمها الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام على أقوال أيضاً

١- فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : (علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها) [١٠٠] .

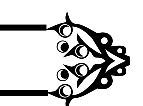
٢- وقيل : علّم الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام صنعة كل شيء , فروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (علّم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال والسباع وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله عزّ وجلّ بارئها إلى يوم القيامة ، وعرض تلك الأسماء على الملائكة)[١٠١], وروي عنه رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾:(علمه أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل: هذا الحمار, هذا الجمل, هذا الفرس) وقال أيضاً:(هذا هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار, وأشباه ذلك من الأمم وغيرها)[١٠٢], وغير ذلك من أقوال المفسرين التي ذهبت أيضاً إلى أنه سبحانه علم آدم عليه السلام أسم كل شيء وكل

دابة وكل طير , كالبعير , والبقرة , والشاة , والغراب, والحمامة, وقيل أنه علمه أسماء النجوم, وأسماء الملائكة, وأسماء ذريته كلهم, واختار الإمام الطبري: أنه عَلَّمَهُ أسماء الملائكة وأسماء الذرية – دون أسماء سائر أجناس الخلق – لأنه قال ثم عرضهم , وهذا عبارة عما يعقل (١٠٣) , وقد افصح الطبري موضحاً رأيه هذا ومدعماً هذا الاختيار بقوله : (ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بين آدم والملائكة) (١٠٤) . وقد رد ابن كثير على اختيار الطبري بقوله:(وهذا الذي رجح به ليس بلازم, فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم , ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٍۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٞ ﴾ (١٠٥) وقد قرأ عبد الله بن مسعود ﷺ : ثم عرضهن وقرأ أبي بن كعب ﷺ : ثم عرضها أي المسميات والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس ﷺ : حتى الفسوة والفسية , يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر) (١٠٦) , ومما يؤيد أن تعليم الله سبحانه لآدم ﵇ يشمل كل شيء ما رواه أنس ﷺ : عن النبي ﷺ قال : (يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ...) (١٠٧) ويستنبط من هذا الحديث أن لله سبحانه علم آدم ﵇ أسماء جميع المخلوقات ولهذا قال : ثم عرضهم على الملائكة يعني المسميات.والظاهر أن الأسماء التي عُلمها آدم ﵇ هي ألفاظ تدل على ذوات الأشياء التي يحتاج نوع الإنسان إلى التعبير عنها لحاجته إلى ندائها ، أو استحضارها ، أو إفادة حصول بعضها مع بعض ، أي الإفادة ما نسميه اليوم بالأخبار أو التوصيف فيظهر أن المراد بالأسماء ابتداءً أسماءُ الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصية وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب مما يقع عليه نظر الإنسان ابتداء أو يسمع عنه باستحضار صفاته , مثل اسم جَنة ، وملك ، وآدم ، وحواء ، وإبليس ، وشجرة وثمرة ، وقد أودع الله سبحانه في الإنسان القدرة على البحث والنظر في الكشف عن خصائص الأشياء ، وعللها وأسبابها ، والوقوف على أسرارها المودعة فيها وحلّها وتركيبها.. وبهذه القدرة عرف حقائق كثير من الأشياء ، وكلما عرف حقيقة وضع لها اسماً تعرف به (١٠٨) .كما إن التعريف في (الأسماء) تعريف الجنس أريد منه الاستغراق للدلالة أن الله سبحانه علم آدم ﵇ جميع أسماء الأشياء المعروفة يومئذٍ في ذلك العالم فهو استغراق عرفي ؛ فعَلَّمه كل اسم ما هُو مسماه ومدلوله , والإتيان بالجمع هنا متعين إذ لا يستقيم أن يقول وعلم آدم الاسم ، وما شاع من أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع في المعرف باللام كلامٌ غير محرر و ﴿ كُلَّهَا ﴾ تأكيد لمعنى الاستغراق لِئلا يتوهم منه العهد فلم تزد كلمة كل العمومَ شمولاً ولكنها دفعت عنه الاحتمال (وكُل) اسم دال على الشمول والإحاطة والعموم فيما أضيف هو إليه (١٠٩).وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ جيء هنا بلفظ العرض ليبين أنه سبحانه أطلعهم اطلاعاً إجمالياً بالإلهام الذي يليق بحالهم على مجموع تلك الأشياء ، ولو عرضت على نفوسهم عرضاً تفصيلياً لعلموها ولم يكن علمهم محدوداً , والحال أنه عرضها عليهم وسألهم سؤال تعجيز , والأظهر أن (ثم) هنا للتراخي الرتبي كشأنها في عطفها الجمل ؛ لأن رتبة هذا العرض وظهور عدم علم الملائكة وظهور علم آدم ﵇ وظهور أثر علم الله وحكمته كل ذلك أرفع رتبة في إظهار مزية آدم واستحقاقه الخلافة (١١٠) . فمجيء (ثم. هنا للتراخي يدل على أنه سبحانه اعطى آدم المهلة اللازمة من ذلك الوقت إلى أن قال : ﴿ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ ليتقرر في قلبه هذا العلم ويتحقق ثم أخبره عما تحقق به واستيقنه , وأما الملائكة فلم يمهلهم إنما جاء قوله تعالى : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي ﴾ على وجه التعقيب , فلم يكن لهم سابق علم أو معرفة بما تقدم من تعليم آدم ﵇ , فأجاب وأخبر ونطق بما تقدم من علمه إظهاراً لعنايته السابقة به سبحانه (١١١) . وجاء قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ : أي قال–تبكيتاً لهم واظهاراً لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة – أخبروني بأسماء هؤلاء فإن تدبير شئون هذه المسميات موقوف على معرفتها وجميع خواصها وأحوالها ، فمن لم يعرفها ، لا يصلح للخلافة فيها وولاية أمرها ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة ممن أَستخلِفُه (١١٢) . فالأمر في قوله : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي ﴾ إذن هو أمر تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أن الآمر عالم بذلك فليس هذا من التكليف بالمحال كما ظنه بعض المفسرين ، وهو أيضاً ليس من قبيل الأوامر التي يقصد بها التكليف ، أي : طلب الإتيان بالمأمور به ، وإنما هو وارد على جهة إفحام المخاطب بالحجة , وجاء استعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز ، ثم إن ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بعجز المأمور وذلك يستلزم علم الآمر بالمأمور به , كما أن في هذا الأمر إشارة إلى أن الخلافة في الكون والتصرف فيه وتدبير شؤونه وإقامة العدل فيه تكون بعد الوقوف على مراتب الاستعداد

ومعرفة من يكون أهلا للخلافة (١١٣). وقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ إما أراد به إن كنتم صادقين في أنكم أفضل من هذا المخلوق إن كان قولهم : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ ﴾ تعريضاً بأنهم أحقاء بذلك ، أو أراد إن كنتم صادقين في عدم جدارة آدم عليه السلام بالخلافة كما دل عليه قولهم :﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ كان قولهم : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ لمجرد التفويض أو الإعلان للسامعين من أهل الملأ الأعلى بالبراءة من شائبة الاعتراض (١١٤) .وقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيه إشارة إلى أنهم تعرّضوا – أي الملائكة – لدعوى الخصوصية ، والفضيلة والمزية التي اختص آدم عليه السلام بها ، فعرّفهم أن الفضل ليس بتقديم تسبيحهم لكنه في قديم تخصيصه آدم عليه السلام , ولمّا علم الحقّ سبحانه تقاصر علومهم عن معرفة أسماء المخلوقات ثم كلّفهم الإنباء عنها , أتضح دلالة الأمر وهو أنّ أمره نابع من حكمته تعالى (١١٥) .

المطلب الثاني : اعتراف الملائكة بالعجز التام عن بلوغ علم آدم عليه السلام الذي خصه الله به :

بعد أن خص الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بخاصية العلم واصطفاه بها على الملائكة لبيان مزيته وأفضليته وجدارته بالخلافة , أقام سبحانه الحجة على الملائكة ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ تقريعاً لهم وإظهاراً لعجزهم عما علقوا به أمالهم بأحقيتهم بالخلافة , فسألهم سؤال تعجيز بأن يخبروه سبحانه بأسماء هؤلاء الذين عرضهم عليهم , والأخبار بالمسميات يستلزم تدبير شؤونها ومعرفة خواصها واحولها وذواتها ومعانيها وحقائقها وهذا يتطلب ثبوت استعداد العلم عندهم لمعرفة ذلك , فمن عجز عن ذلك لا يصلح للخلافة ولا يكون أهلاً لها أو مدبراً لشؤونها . فجاء الإقرار من قبل الملائكة فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١١٦) فهذا اعتراف من الملائكة بالعجز والقصور عن أمر الخلافة وعما كلفوا به عن علم ما لم يعلموه ، فكأنهم قالوا : وليس هذا مما علمتنا فلا علم لنا إلاّ عن طريق التعليم , كما جاءت هذه الآية لتشعر بأن سؤالهم لم يكن إلاّ استفساراً ولم يكن اعتراضاً ، وأنه قد أنكشف لهم ما قد خفي عليهم من فضل آدم عليه السلام والحكمة في خلقه واستخلافه ، وإظهار لشكر نعمته (١١٧) .قال الإمام الطبري:(وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئًا إلا ما علّمه تعالى ذكره) (١١٨) . وجرد قوله : ﴿ قَالُواْ ﴾ من الفاء ؛ لأنه محاورة كما أسلفنا , كم أن اعتراف الملائكة بالعجز ليس معناه الأخبار عن حالهم ؛ لأنهم يوقنون أن الله سبحانه يعلم ما تضمنه كلامهم , وفي تصدير كلامهم بسبحانك إشارة إلى الاعتذار عن مراجعتهم ومحاورتهم بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (١١٩) وقد كان السؤال فيه سؤال مستفسر لا معترض والافتتاح كان من قبيل براعة الاستهلال عن الاعتذار , والاعتذار وإن كان حصل بقولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ لكن حصول ذلك منه بطريق الكناية دون التصريح ويحصل آخراً لا ابتداء فكان افتتاح كلامهم بالتنزيه والثناء عليه تعالى تعجيلاً بما يدل على ملازمة جانب غاية التواضع ومراعاة الأدب العظيم وترك الدعوى (١٢٠) . وتضمن إقرار الملائكة بالعجز أن علومهم مقصورة على ما ألهمهم الله سبحانه من العلوم المناسبة لعالمهم وبحسب قابليتهم واستعدادهم وما أمرهم به , أما إذا كانت خارجة عن دائرة استعدادهم فلا قدرة لهم عليها ولو كانوا مستعدين لأكثر من ذلك لأفضوه عليهم , بمعنى أن علومهم محدودة وغير قابلة للزيادة فلا تتناول جميع الأشياء ولا تحيط بجميع المسميات , فللملائكة علم قبول المعاني لا علم استنباطها (١٢١) . ولو كان جواب الملائكة : لا علم لنا بأسماء المسميات المعروضة لكان جوابهم على قدر السؤال , ولكن كان اعترافهم بالعجز القصد منه المبالغة في نفي أي علم عن أنفسهم غير ما علمهم الله سبحانه وكان من ضمن النفي العام الإقرار بالقصور عن معرفة الأسماء المسئولون عنها (١٢٢) . قال أبي حيان: (كانوا قد سبق منهم قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (١٢٣) أرادوا أن يجيبوا بعدم العلم إلا ما علمهم ، فقدموا بين يدي الجواب تنزيه الله اعتذاراً وأدباً منهم في الجواب ، وإشعاراً بأن ما صدر منهم قبل يمحوه هذا التنزيه لله تعالى ، فقالوا : سبحانك ، ثم أجابوا بنفي العلم بلفظ لا التي بنيت معها النكرة ، فاستغرق كل فرد من أنواع العلوم ، ثم استثنوا من ذلك ما علمهم هو تعالى، فقالوا: ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وهذا غاية في ترك الدعوى والاستسلام التام للمعلم الأول لله تعالى) (١٢٤) . فكأن الملائكة نفوا أولاً عن أنفسهم سائر العلوم ثم استدركوا أنه في المستقبل , أي شيء علمهم علموه , وهذا يدل على المبالغة في ترك الدعوى , إذ نفوا عن أنفسهم جميع العلوم , ولم يستثنوا علماً علموه سابقاً , فصاروا إلى الجهل الصرف والتبري من كل علم أقرب , وهذا الوجه ينافي ما قيل بأنهم علموا بأنه سيكون في الأرض من يفسد ويسفك الدماء باطلاعهم من اللوح , فإذا صح هذا من قبلهم كانوا قد بالغوا في نفي كل علم عنهم وجعلوا هذا العلم الخاص كالمعدوم (١٢٥) .ومن أعتقد أن الملائكة





غير معصومين وقد أتوا بالمعصية في قولهم:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ وقالوا : إنهم لما عرفوا خطأهم في هذا السؤال رجعوا وتابوا واعتذروا عن خطئهم بقولهم : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ والذين اعتقدوا عصمتهم وأنكروا معصيتهم ذكروا في ذلك وجهين :

الأول : أنهم إنما قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم بأنهم لا يعلمون ما سئلوا عنه ؛ وذلك لأنهم قالوا : إنا لا نعلم إلا ما علمتنا فإذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه .

الثاني : أن الملائكة إنما قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ ؛ لأن الله تعالى أعلمهم ذلك فكأنهم قالوا: إنك أعلمتنا أنهم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء فقلنا لك:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ وأما هذه الأسماء فإنك ما أعلمتنا كيفيتها فكيف نعلمها [١٢٦] .ويلاحظ ان في جواب الملائكة من الحسن مما يلفت الأنظار , إذ قدموا تنزيه الله سبحانه على إقرارهم الجهل بالعلم , ثم نسبوا الله سبحانه إلى وصف العلم والحكمة , فناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ؛ لأنه جاء متصلاً بقوله : ﴿ وَعَلَّمَ ﴾ ﴿ أَنۢبِـُٔونِى ﴾﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ ؛ ولأن بالعلم ظهرت مزية آدم عليه السلام وافضليته , فناسب ذكره متصلاً , ولهذا أكثر ما جاء بالقرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة , فكان آخر مقالهم مخالفاً لأوله , حتى يبين رجوعهم عن قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ فكان جوابهم إيذان برجوعهم إلى ما كان يجب عليهم إلاّ يغفلوا عنه , ففوضوا أمرهم إلى واسع علم الله وعظيم حكمته بعد أن تبين لهم ما تبين [١٢٧] .كما جاء تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ليكون وصفه بالعلم متصلاً بنفي الملائكة العلم عن أنفسهم في قولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ فكان قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تخصيص واثبات العلم لربهم ونفيه عنهم , فهو العليم من غير تعليم وبما قد كان وما هو كائن إلى يوم القيامة , وأعقب العليم الحكيم من إتباع الوصف بأخص منه ؛ فالحكمة مفهومها زائد على مفهوم العلم لأن الحكمة كمال في العلم , والحكيم هو المانع من الفساد المتقن لما صنع فلا يتطرق إلى صنعه فساد أو خلل بوجه [١٢٨] .كما قيل إن قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ سيق تعليل لقوله : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ ؛ وذلك لأن علم الله المحيط بكل شيء المحكم لكل خلق إذا لم يجعل سبحانه سبيل لبعض خلقه إلى علم شيء منه , لم يكن لهم استطاعة بعلمه , إذ إن التعلم يكون بقدر القابلية والاستعداد فلا مطمع لهم في التعلم ما لم تهيء له أسبابه وبحسب الفطرة , والذي دل على أن هذا القول قد سيق مساق التعليل وليس مجرد ثناء هو ابتدأه بإن في غير مقام رد أنكار ولا تردد [١٢٩] . والعليم الذي يعلم كل شيء خفي أو ظهر والعلم كله منه , والحكمة أن يرسم لكل حركة هدف لتنسجم الحركات بعضها مع بعض ، ويصبح الكون محكوماً بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه , والحكيم العليم , هو الذي يضع لكل كائن إطاره وحدوده , والحكمة هي أن يؤدى كل شيء وبما هو مطلوب منه ببراعة واتقان , والحكمة في الطب أن تعرف كيف تشخص المرض وتضع الدواء الذي يعالجه , والحكمة في الهندسة أن تصمم المستشفى طبقاً لاحتياجات المريض والطبيب وأجهزة العلاج ومخازن الأدوية وغير ذلك , ووصف الله تعالى بأنه حكيم يتعين أن يكون عليماً ؛ لأن علمه هو الذي ينشأ كل شيء بحكمة , وقد أتى الله سبحانه وتعالى لكل خلقه من العلم على قدر حاجته ، فليس من طبيعة الملائكة أن يعرفوا ماذا سيفعل ذلك الإنسان الذي سيجعله الله سبحانه خليفة في الأرض [١٣٠] . ولهذا فإن استخلاف آدم عليه السلام نابع من العلم والحكمة , قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [١٣١] فالله سبحانه يعلم جدارة آدم عليه السلام بالخلافة واقتضت حكمته أن تكون له قابليات واستعدادات تفتقر لها الملائكة تؤهله للخلافة في الأرض , ويمارس بواسطتها مهمته ببراعة واتقان ويحقق الهدف المنوط به .ولهذا (جعل الله في هذا الإنسان الخليفة خاصية النطق والكلام والتعبير والبيان , والرمز بالأسماء للمسميات , لأهمية ذلك في تحقيق الخلافة , ولو لم يجعل الله في الإنسان الخليفة خاصية النطق والتعبير والبيان فكيف سيحقق الخلافة ؟ وكيف سيقضي حاجاته ؟) [١٣٢] . وبعد أن اتضح عجز الملائكة عن الإجابة عما سئلوا عنه وجه سبحانه السؤال إلى آدم عليه السلام يأمره بأن يخبر الملائكة بالأسماء التي سئلوا عنها ولم يكونوا على علم بها.

المطلب الثالث : الدليل العملي على جدارة آدم بالخلافة دون الملائكة :

لقد جاءت هذه الآية لتكمل مشاهد المحاورة بين الله سبحانه وملائكته , وبينه سبحانه وآدم عليه السلام فأمره سبحانه في هذا المشهد أن يبين الدليل العملي التفصيلي والبرهان التطبيقي لأحقية آدم عليه السلام وأفضليته وجدارته بالخلافة في الأرض , بعد أن أعترف الملائكة بالعجز والقصور عن معرفة الأسماء التي عرضها عليهم سبحانه فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [١٣٣] وفي هذا توجيه وبيان للملائكة ليدركوا السبب



الذي من أجله جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض , وأن كان بعض ذريته سيحصل منهم ما لا ينبغي , ولكن يبقى هذا الإنسان هو الذي يصلح للخلافة وحده في هذه الحياة دون غيره من الخلق , ليستخرج خيراتها ويستكشف سنن الكون ومجراته (١٣٤) . قال الإمام ابن عاشور : (لما دخل هذا القول في جملة المحاورة جردت الجملة من الفاء أيضاً كما تقدم في نظائره ؛ لأنه وإن كان إقبالاً بالخطاب على غير المخاطَبين بالأقوال التي قبله فهو بمثابة خطاب لهم ؛ لأن المقصود من خطاب آدم عليه السلام بذلك أن يَظهر عقبَه فضلُه عليهم في العلم من هذه الناحية فكانَ الخطاب بمنزلة أن يكون مسوقاً إليهم لقوله عقب ذلك : ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾) (١٣٥) . جاء الخطاب في هذه الآية بنداء آدم عليه السلام مع أنه لم يكن بعيداً عن سماع الأمر الإلهي ؛ وذلك احتفالاً وتنويهاً بشأنه وإظهاراً لمزيته وأسمه في الملأ الأعلى حتى ينال بذلك المكانة التي يستحقها أكراماً له من قبل الآمر ؛ لأن من شأن الآمِر والمخاطِب بالكسر إذا تلطف مع المخاطَب بالفتح أن يذكر اسمه ولا يقتصر على ذكر ضمير الخطاب حتى لا يساوي بخطابه كل خطاب , وقيل ربما جعل النداء طريقاً لإحضار اسمه الظاهر ؛ لأنه لا طريق لإحضار أسمه عند المخاطبة الاَّ بواسطة النداء فالنداء على كل تقدير مستعمل في معناه المجازي (١٣٦) .لقد جاء الأمر الإلهي إلى آدم عليه السلام بأنباء الملائكة بأسمائهم لما ظهر عجزهم كما أسلفنا فألحق كل شيء بجنسه وأعلمه باسمه, فالهاء والميم في قوله: ﴿ أَنۢبِئۡهُم ﴾ تعود الى الملائكة والهاء والميم في قوله: ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ قيل تعود على المخلوقات التي عرضها وبه قال أكثر العلماء فعدد الأسماء كلها أسم الحمامة والغراب وأسم كل شيء , وقيل أنها تعود إلى الملائكة (١٣٧) . وكما جاء تعليق الأنباء بالأسماء لا بالمسميات , إذ لم يقل سبحانه : أنبئهم بهم , وجب تعليق التعليم بها أي بالأسماء , ليكون تعليم آدم عليه السلام بالأسماء وأحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية أشمل وأكمل (١٣٨) . وقد جيء بلفظ (أنبئ) كما وقع في أمر الملائكة في قوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (١٣٩) وأمر آدم عليه السلام في قوله : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ وقد حصل من الأمر الأول للملائكة ظهور فضل آدم عليه السلام , أما الأمر الثاني لآدم عليه السلام فهنالك تفاوت واضح وجلي ما بين الأمرين فقال:﴿ أَنۢبِئۡهُم ﴾ دون أنبئني للإشارة بأن عِلْمَه عليه السلام بالأسماء ظاهر, لا يحتاج إلى ما يجري مَجرى الامتحان, وإلى أنه عليه السلام جدير بأن يعلمها وأن يعلّم غيره، فتكون له منّة المعلم المفيد، ولهم مقام المتعلم المستفيد، ولئلا تستولى عليه الهيبة، فإن إنباء العالم ليس كإنباء غيره (١٤٠) .والجملة التي تفتتح بالقول, فالأصح في لغة العرب أنها لا يؤتى فيها بحرف ترتيب ولا سيما إذا كانت مرتباً بعضها على بعض في المعنى, اكتفاء بالترتيب المعنوي، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا ﴾ (١٤١)، أتى بعده قوله: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾، ونحو قوله: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ ﴾(١٤٢)، أتى بعده قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ ﴾ (١٤٣) , ونحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ ﴾(١٤٤) أتى بعده قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ ﴾ , وقوله : ﴿ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ ﴾ (١٤٥) .وبعد أن أمر الله سبحانه آدم عليه السلام أن يعلم الملائكة بأسمائهم ؛ فأخبرهم بها بعد أن عرضها عليهم وعجزوا عن علمها , واعترفوا بالقصور عن بلوغ مرتبتها ، فسمّى لهم كل شيء باسمه ، مبيناً لهم أحواله ، وخواصّه ، وأحكامه المتعلقة بالمعاش ، والمعاد , ليعلموا أنه سبحانه أعلم بما سألهم عنه تنبيهاً على فضل آدم عليه السلام وعلو شأنه ، فكان أفضل منهم بأن قدمه عليهم وأمرهم بالسجود له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه , فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجوداً له ، مختصاً بالعلم (١٤٦) . ﴿ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ الفاء فصيحةٌ عاطفةٌ للجملة الشرطية على محذوفٍ يقتضيه المقامُ وينسحِبُ عليه الكلام للإشعارِ بتحقُّق الأعلام في أسرع ما يكون كما في قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ بعد قوله سبحانه : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾ (١٤٧) وكما إن مجيء لفظ الأسماءِ صريح في موضع الإضمارِ يدل على كمالِ العنايةِ بشأنها , والإيذانِ بأن آدم عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيلِ دون الإجمالِ , فبيّن لهم أسمائهم وأحوال كل منهم وخواصّه وأحكامه مفصّلةً , فعلِموا لمّا رأوْا أنَّ آدم عليه السلام لم يتلعثم في تبيان تفاصيل كلاً منهم مع ذكر المناسبات والمشاكلات ما بين الأسماءِ والمسميات , وغيرِ ذلك من القرائن الدالة على صدق مقالاتِه عليه السلام (١٤٨) .أي فلما أنبأهم عليه السلام بأسمائهم ، قال الله سبحانه تعالى للملائكة توبيخاً لهم وتقريراً منهم : ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ يا ملائكتي ، والاستفهام للتقرير مع التوبيخ : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ قد قلت لكم : إني أعلم ما غاب عنكم فيهما ممّا كان , ومما يكون ، مما لا علم لكم فيه وتقاصر عنه علمكم , ولا طريق لعلمه إلاّ بتعليمه سبحانه(١٤٩)، فلا أخلق شيئاً سدى، ولا

أجعل الخليفة في الأرض عبثاً,﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ أي أعلم ما تظهرون من نحو قولكم: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾(١٥٠), ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ وما كنتم تكتمون من نحو قولكم : لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا ، فنحن أحقاء بالخلافة في الأرض ؛ فعرفوا أن الله فضّل عليهم آدم عليه السلام في العلم والكرم, وقيل: هو عام فيما أبدوه وما كتموه من كل أمورهم، وهذا هو الظاهر (١٥١) .كما جاء قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾ إلخ الآية، ليبين أنه سبحانه أعلم ما أظهروه الملائكة من الطاعة ، وما أسره إبليس في نفسه من المعصية والكبر ، والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير وهو استحضار وتأكيد لمعنى قوله تعالى آنفاً: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ففي هذا التقرير، تفصيل لما أجمل سابقاً على ما سلف من قيلهم، وَفرَط منهم من خطأ مَسألتهم، فعلمه شامل لما يظهرونه بأقوالهم أو أفعالهم، وما يضمرونه في أنفسهم, وعتاب لهم على تركهم ما كان أَولى بهم, ففي قوله:﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ إلخ تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى، حيث بادروا بالسؤال عن الحكمة، وكان الأولى أن يأخذوا بالأدب المناسب لمقام الألوهية، فيتركوا السؤال عنها ويتوقفوا إلى أن يستبين لهم أمرها بوجه من وجوه العلم، أي أن يبين سبحانه لهم ما لا يعلمون، بدلًا من توجيه السؤَال له– بهذه الصورة , فهو سبحانه أعلم بدواعي الخلافة مالا يعلمونه فيه وهو هذا الذي عاينتموه (١٥٢)، والدليل على صحة ما روي عن كتمان إبليس معصيته وتكبره، هو إنه دُعي إلى السجود لآدم عليه السلام فأبى واستكبر، وظهر لسائر الملائكة معصيته وكبره، ما كان له كاتماً قبل ذلك, والذي حُكي عن كتمانُ الملائكة بينهم أنه لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه, ليس له دليل على صحته من الكتاب، ولا من خبر يجب به حجة, ومن يظن ان صورة كتمان الملائكة جاءت بصيغة الجمع فهو ظن في غير محله؛ وذلك أنّ من شأن العرب, إذا أخبرت خبراً عن بعض جماعة من غير تسمية شخص بعينه, أن تخرج الخبر عنه بصيغة الجمع ؛ وذلك كقولهم:(قُتل الجيش وهزموا) وإنما قتل الواحد أو البعض منهم, وهزم الواحد أو البعض, فخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم, فكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ أخرج الخبر مُخرج الخبر عن الجميع، والمراد به الواحد منهم (١٥٣) .قلنا في موضع سابق إن الله سبحانه وتعالى لا يقص علينا شيء من القصص القرآني إلاّ بذكر المعاني التي تقرب القصة إلى مستوى عقولنا , لنستفيد منها مواعظ ودلالات في تعاملنا وتصرفاتنا وأخلاقنا في حياتنا الدنيا ومن دلالات وفوائد هذه الآيات في هذا المبحث :

١– أظهر الله سبحانه وتعالى للملائكة محل تخصص آدم عليه السلام في تعلمه أسماء المخلوقات وبذلك المقدار من التخصيص بان رجحانه عليهم ، فإذا كان تخصيصه بمعرفة أسماء المخلوقات يتقضى أن يصحّ به سجود الملائكة له , فما الظنّ بتخصيصه بمعرفة أسماء الحق سبحانه ؟ ما الذي يوجب لمن أكرم به؟ (١٥٤) .

٢– كانت الحكمة في التعليم والعرض والأنباء ؛ تشريف آدم عليه السلام واصطفاؤه على الملائكة ، وإظهار الأسرار والعلوم المكنونة في غيب علمه تعالى ، على لسان من يشاء من عباده ، ذلك إن العلم المحيط تتكشف به الأسرار والحكم ما لا ينكشف بغيره , فالله سبحانه هو المعلّم المكرّم اصطفى آدم عليه السلام ، كيلا يكون للملائكة وغيرهم مفخرة عليه بعلومهم ومعارفهم (١٥٥) ، كما أدركوا السر في خلافته عليه السلام وذريته ، وأنهم أي الملائكة لا يصلحون لعدم استعدادهم للاشتغال بالماديات ، والدنيا لا تقوم إلا بها، إذ هم خلقوا من النور، وآدم خلق من الطين، والمادة جزء منه (١٥٦) .

٣– ومن الدروس التي يمكن نأخذها من قصة آدم عليه السلام أنه كلما أزداد العلم كان الحكم صحيحاً , ذلك أننا نجد في مجتمعاتنا أناس ليسوا مؤهلين لإصدار أحكام في كثير من القضايا لعدم الأهلية العلمية , ولهذا تبقى أحكامهم قاصرة , وهذا يجعلنا ولا سيما في أمر بناء الأمم والدول وما ينبغي اعتماده في شؤون الحكم العامة والخاصة أن نتأنى كثيراً فلا نصدر أحكام إلاّ بعد تمحيصها ودراستها , وأن استيعاب شامل للقضية المطروحة من أجل أن تكون النتيجة مضمونة (١٥٧) .

٤– أرشد قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ إلى أن الدعاوي لا يؤبه بها إلا بإثباتها بالدليل ؛ فكأنه يقول : أتوني بالحجة أو بالدليل يثبت أنكم صادقين في دعواكم ، فالملائكة ادعوا الفضل ، فطولبوا بالبرهان ، وبحثوا عن الغيب ، فقرعوا بالعيان ؛ أي : لا تعلمون أسماء ما تعاينون ، فكيف تتكلمون في فساد من لا تعاينون(١٥٨)؛ فالمدّعي لشيء ما لا تقبل دعوته فيما ادعاه حتى يأتي بالحجة والبرهان الذي يؤيد دعوته, كما كان الشأن مع الأنبياء عليهم السلام في إثبات دعوتهم بالحجة والبرهان والمعجزات .

٥- وفي هذه الآيات التي أخبر بها الله سبحانه آدم عليه السلام بأسماء المسميات تدل دلالة واضحة على شرف الإنسان وتفضيله على غيره من المخلوقات ، وعلى فضل العلم على العبادة ، فإن الملائكة أكثر عبادة من آدم عليه السلام ، ومع ذلك ولم يكونوا أهلاً لاستحقاق الخلافة، وعلى أن مناط الخلافة عن الله سبحانه في الأرض وشرطها العلم بل هو العمدة فيها، وعلى أفضلية آدم عليه السلام على الملائكة لأنه أعلم منهم, والأعلم هو الأفضل من غيره بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٥٩) فالعلم أشرف جوهراً ، ولكن لا بدّ للعبادة أن تكون مع العلم ، فإن العلم بمنزلة الشجرة ، والعبادة بمنزلة الثمرة ، فالشرف للشجرة وهو الأصل ، لكن الانتفاع بثمرتها لا يكون بدون العلم (١٦٠) .

٦- وفي هذه الآية دليل على أن أولى الأشياء بعد علم التوحيد ، تعلم علم اللغة ؛ لأنه سبحانه وتعالى أراهم فضل آدم بعلم اللغة ، وقال بعضهم : إنما علمه الأسماء وما فيها من الحكمة ، فظهر فضله بعلم الأسماء وما فيها من الحكمة (١٦١) .

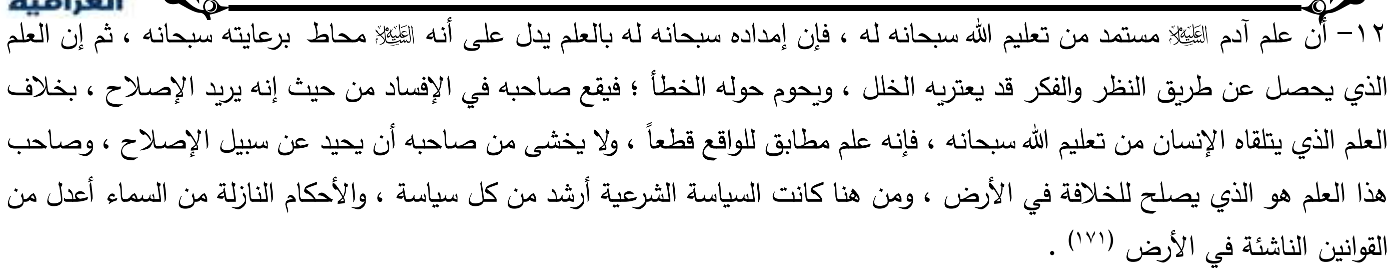
٧- ومما يمكن إفادته من قصة آدم عليه السلام أن استعداد الإنسان للعلم هو سر استخلافه في الأرض ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ , وفي وقتنا الحاضر اكتشفت أكثر أسرار من خلال هذا الاستعداد الذي بواسطته استطاع الإنسان أن يكتشف الكثير من أسرار هذا الكون ونواميسه وما أودع فيه من الخواص ليسخرها له بمقتضى ما منحه اللهَ من الأَسباب، فما كانت الأرض لتزرع بمختلف الزروع، ولا تستخرج المعادن من باطنها، ولا تعرف خواصها الكيمائية والطبيعية، ولا تعرف الأجرام الفلكية ولا المستحدثات الطبية ، ولا شيء من العلوم التي تفنى السنون ولا يدرك الإنسان لها غاية, ولكن مما يؤسف له أن هذا الاستعداد في وقتنا الحاضر سخر في غير ما أمر الله به من الإفساد والعبث وسفك الدماء, الأمر الذي جلب الويل والثبور على البشرية جمعاء, وزاد الطين بلة غياب المسلمين عن قيادة العالم بكتاب الله سبحانه وريادة العلوم واستكشاف اسرار هذا الكون وتسخيره واستعماره بما يخدم الإنسانية وسعادتها, الأمر الذي أدى إلى سيطرة الكافرين, وتخلف المسلمين وتأخرهم في كافة الميادين لذا فعليهم أن يعودوا رجال قمة في كل اختصاص كوني وعلمي (١٦٢) .

٨- ويلاحظ كذلك في دلالات قصة آدم عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى أظهر للملائكة مزية آدم عليه السلام, ثم أمرهم بالسجود له وكانت المزية هي العلم, وهذا يعطينا دلالة كبيرة في موضوع اختيار القيادات أو الأفراد للوظائف , فيكون معيار الاختيار قائم على الكفاءة التي يتميز بها شخص ما ليتقلد وظيفة معينة , وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ فإنه كان يرى المزية ثم يؤمّر كما فعل مع الجماعة الذين أمّر عليهم رجلاً من أحدثهم سناً وليس من أشرفهم لأنه كان يحفظ سورة البقرة , لذلك أهم قضية في مسألة اختيار الاكفأ للوظائف هي العلم فلا يكون أهلاً لوظيفة ما إلاّ بالعلم وفي أعلى وظيفة في الدولة وهي وظيفة رئيس الدولة , فالتقديم والتأخير يقوم على الكفاءة والعلم (١٦٣) .

٩- في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ و ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ دلالة واضحة وحجة بينة ، على كذب وزور مقالة كلّ من ادعى شيئًا من علوم الغيب(١٦٤), ذلك أن علم الغيب يختص به واجب الوجود- سبحانه- لأنه هو الذي يعلم الامور الغيبية بذاته تعالى ، وأما العلم بشيء من امور الغيب الذي يحصل من تعليم الله سبحانه فلا يقال لصاحبه إنه يعلم الغيب (١٦٥) , وقد دلت الآية الاخيرة على أن الله سبحانه يعلم الأَشياءَ قبل حدوثها (١٦٦) .

١٠- وفي هذه دلالة إلى أنّ الإنسان ينبغي له أن لا يغفل عن نقصانه ، وعن فضل الله عليه وإحسانه ، ولا يأنف أن يقول لا أعلم إذا لم يكن يعلم ، ولا يكتم الشيء الذي يعلم (١٦٧) .

١١- إذ دل قول الملائكة : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ ﴾ على قصور علم المخلوقات أمام علم الخالق ، وأن فعل الخالق لا يخلو من الحكمة والفائدة ، وأن علم الملائكة محدود لا يتناول جميع الأشياء ، والواجب على من سئل عن علم لم يعرفه أن يقول: الله أعلم لا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء وفضلاء العلماء (١٦٨) , وهذا أدب رفيع أن يقول المسؤول عن شيء لا يعرفه لا أدري , وقال العلماء: قول الشخص لا أدري نصف العلم ، وسئل أبو يوسف القاضي عن مسألة؟ فقال: لا أدري فقالوا له : ترتزق من بيت المال كلّ يوم كذا وكذا ، ثم تقول لا أدري ، قال : إنما أرتزق بقدر علمي ، ولو أعطيت بقدر جهلي لم يسعني مال الدنيا، وحكي : أن عالما سئل عن مسألة وهو فوق المنبر؟ فقال : لا أدري فقيل له : ليس المنبر موضع الجهّال ، فقال : إنما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء (١٦٩) وذكر الهيثم بن جميل قال شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال: في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري» وهو أدب نفيس فقد اعتاد الكثيرون أن يهجموا على الحديث في كل شيء دون أن يكون عندهم علم فيه ، وإنما هي الظنون أو الأوهام (١٧٠) .



١٢- أن علم آدم عليه السلام مستمد من تعليم الله سبحانه له ، فإن إمداده سبحانه له بالعلم يدل على أنه عليه السلام محاط برعايته سبحانه ، ثم إن العلم الذي يحصل عن طريق النظر والفكر قد يعتريه الخلل ، ويحوم حوله الخطأ ؛ فيقع صاحبه في الإفساد من حيث إنه يريد الإصلاح ، بخلاف العلم الذي يتلقاه الإنسان من تعليم الله سبحانه ، فإنه علم مطابق للواقع قطعاً ، ولا يخشى من صاحبه أن يحيد عن سبيل الإصلاح ، وصاحب هذا العلم هو الذي يصلح للخلافة في الأرض ، ومن هنا كانت السياسة الشرعية أرشد من كل سياسة ، والأحكام النازلة من السماء أعدل من القوانين الناشئة في الأرض (١٧١) .

١٣- أن اللغاتِ توقيفيةٌ إذ الأسماءُ تدل على الألفاظ بخصوص أو بعموم وتعليمُها ظاهراً في إلقائها على المتعلم مبيناً له معانيَها؛ وذلك يستدعي سابقةَ وضعٍ والأصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون من الله سبحانه وتعالى (١٧٢) .

١٤- أن مفهوم الحكمة أمر زائد على العلم ، لأن الملائكة وصفوا الله تعالى بالحكمة بعد العلم ، وإلا لزم التكرار (١٧٣) .

١٥- أن علومَ الملائكة وكمالاتِهم تقبل الزيادة والحكماءُ منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قولَه تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ (١٧٤) (١٧٥) .

المبحث الثالث اختصاص آدم عليه السلام بالتكريم بسجود الملائكة له

ننتقل إلى خصيصة أخرى من خصائص آدم عليه السلام ؛ فبعد أن أرى الله عزّ وجل ملائكته مزية آدم عليه السلام وخصائصه، وأظهر تفوقه عليهم بالعلم واعترافهم بالعجز والقصور عن بلوغ مرتبته ودرجته التي خصها الله سبحانه بها بعد أن انبأهم بأسمائهم، بقي لنا ان نبين ثمرة هذا التخصيص وما ينطوي عليه من تكريم يختص به فقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (١٧٦) . يقول ابن كثير: (هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم عليه السلام حين خلقه بيده , ونفخ فيه من روحه , كما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (١٧٧) فهذه أربع تشريفات : خلقه بيده الكريمة , ونفخه من روحه , وأمر بالملائكة بالسجود له , وتعليمه أسماء الأشياء) (١٧٨) .قال الإمام البيضاوي: (لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له، اعترافاً بفضله، وأداء لحقه واعتذاراً عما قالوا فيه) (١٧٩) , وهو قولهم : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (١٨٠) . وإعادة (إذ) بعد حرف العطف بقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ المغني عن إعادة ظرفه اشارة على أن الجملة مقصودة بذاتها ؛ لأنها قد تميزت بهذه القصة العجيبة فجاءت على أسلوب يؤذن بالاستقلال والاهتمام ، ولكي يراعى هذا الأمر لم تأتي هذه القصة معطوفة بفاء التفريع فيقول : (فقلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وإن كان مضمونها في الواقع متفرعاً على مضمون التي قبلها فإن أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام ما كان إلا لأجل ظهور مزيته عليهم إذ علم ما لم يعلموه وذلك ما اقتضاه ترتيب ذكر هذه القصص بعضها بعد بعض , فالآية معطوفة على ما قبلها ، عطف القصة على القصة ؛ فقد عطفت فيها قصة السجود على قصة الخلق والخلافة والتعليم ، لتستكمل بها نعمه – تعالى– التي تفضل بها على خلقه , وهذه كرامة عظيمة من الله عزّ وجل لآدم عليه السلام ناطقة بالتعظيم لقدره والتنويه بشأنه امتن بها على ذريته حيث أخبر أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود له (١٨١) . فاستحق هذا الخليفة أن يكرم ، وأن يكون هذا التكريم من الملائكة أنفسهم بأن يسجدوا له , ليظهر بذلك مزية العلم على مزية العبادة ؛ لأنهم هم الذين أنكروا عليه تلك (الخلافة) التي جعلها الله له ، فيكون ذلك بمثابة ردّ اعتبار لآدم عليه السلام عند من نقصوه ، تقديراً وتبجيلاً له منهم لقاء انتقاصهم له !! (١٨٢) .فقصة إبليس تقريع لمن تشبه به من بني آدم الذين يتكبرون عن الخضوع لأمره تعالى , والانقياد لطاعته فيما أمر به ونهى عنه ، والتسليم لقضائه فكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم به من حقوق , هم اليهود الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع علمهم بنبوته ، ومع قدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم (١٨٣) .(والمقصود من تعليق الذكر والقصة بالزمان إنما هو ما حصل في ذلك الزمان من الأحوال , وتخصيص اسم الزمان دون اسم المكان لأن الناس تعارفوا إسناد الحوادث التاريخية والقصص إلى أزمان وقوعها) (١٨٤) . وهناك محوران تدوران حولهما الآية وهما : كيفية السجود , ومن هو إبليس

المطلب الأول : **كيفية سجود الملائكة لآدم** عليه السلام :

السجود لغة : سَجَدَ يَسْجُدُ سجوداً وضع جبهته بالأَرض وقوم سُجَّدٌ وسجود وقوله عز وجل : ﴿ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ (١٨٥) ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ (١٨٦) هذا سجود إعظام أو تحية لا سجود عبادة لأَن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل قال الزجاج : إنه كان

من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يُسْجَد للمعظم ... سجد خضع وانتصب ضدٌ , وسجد إذا انحنى وتطامن إلى الأرض وأَسجَدَ الرجلُ طأطأَ رأْسه وانحنى وأدام النظر في إمراض أجفانٍ (١٨٧) .وشرعاً : (وضع الجبهة على الأرض ولا يلزم أن يكون على قصد العبادة) (١٨٨) .

والسجود نوعان :

أولاً : سجود لله تعالى على سبيل العبادة , وله مظهران :

١- إما وضع الجبهة على الأرض وهو المعتاد في الصلاة .

٢- وإما الانقياد والخضوع لمقتضى إرادته ، كما قال : ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ (١٨٩) وقال : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا ﴾ (١٩٠) , وهذا بمظهريه لا يكون لغير الله سبحانه إطلاقاً .

ثانياً : سجود تحية وتكريم من غير تأليه : وهو يكون لغيره سبحانه على وجه التكرمة , كسجود الملائكة لآدم عليه السلام وسجود أبوي يوسف عليه السلام وإخوته له سجود تعظيم وتحية وهذا في رأي أكثر العلماء كان مباحا إلى عصر رسول الله ﷺ ، وأن أصحابه ﷺ قالوا له حين سجدت له الشجرة والجمل : نحن أولى بالسجود لك من الشجرة والجمل الشارد ، فقال لهم : (لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد) ونهى النبي ﷺ عن السجود للبشر (١٩١) (١٩٢) .هناك اقوال كثيرة في بيان كيفية سجود الملائكة لآدم عليه السلام نذكر منها :

١- فمنهم من ذهب إلى أن السجود لله سبحانه ؛ إذ خروا له سبحانه الملائكة سجوداً شرعياً بوضع الجبهة لكنهم جعلوا آدم عليه السلام قبلة لسجودهم ؛ تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله ؛ فجعل آدم عليه السلام قبلة لسجودهم , وحقيقة السجود لله , كما جعلت الكعبة المشرفة قبلة للصلاة , والصلاة لله سبحانه (١٩٣) .

٢- وقيل : أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان سجود تحية ولم يكن عبادة , وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية ، لا سجود صلاة وعبادة , وكان بالانحناء من غير وضع الجبهة على الأرض (١٩٤) .

٣- وقال أبي بن كعب : فيما معناه : أقروا لآدم عليه السلام أنه خير وأكرم عليّ منكم ، واخضعوا له وكونوا تحت أمره ، ذلك أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع وهذا المعنى موافق لأصل اللغة (١٩٥) .

٤- وقيل : كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام على جهة التكريم , فكان ذلك السجود تكريماً لآدم عليه السلام وطاعةً لله سبحانه ولم يكن عبادة لآدم عليه السلام (١٩٦) .أما الأول فبعيد ولا دليل عليه إذ لو كان السجود لله سبحانه وآدم عليه السلام قبلة لكان الأولى أن يقال اسجدوا إلى آدم عليه السلام , ألا ترى أنهم أنه لا يقال صليت للقبلة بل يقال صليت إلى القبلة , فلما لم يرد الأمر هكذا بل قيل اسجدوا لآدم علمنا أن آدم عليه السلام لم يكن قبلة كما إن الغاية من السجود إظهار أفضلية وآدم عليه السلام وتعظيمه وجعله مجرد قبلة لا يفيد ذلك (١٩٧) ، وأما الثاني فهو كان مشروعًا في الأمم الماضية ثم نسخ في شريعتنا (١٩٨) ، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً ؛ لأن السجود لا شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك لأن الأصل عدم التغيير (١٩٩) ويبقى القول الرابع هو الذي يتلاءم ويتناسب مع سياق الآية , وقد اختاره الحافظ ابن كثير فقال : (والسجدة لآدم إكراماً وإعظاماً واحتراماً وسلاماً، وهي طاعة لله عز وجل، لأنها امتثال لأمره تعالى) (٢٠٠) .

كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن السجود كان لآدم عليه السلام بأمر من الله سبحانه وفرض إطاعته وبإجماع من يسمع قوله ويدل على ذلك وجوه (٢٠١) :

١- فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ ولم يقل إلى آدم وكل حرف له معنى ومغزى وهناك فرق بين ان يقال : سجدت له وبين سجدت إليه كما قال تعالى : ﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ (٢٠٢) وقال : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٢٠٣) واجمع المسلمون على ان السجود لغير الله محرم كالسجود للأحجار والأشجار والدواب , واما الكعبة فيقال : كان النبي ﷺ يصلى إلى بيت المقدس , ثم صلى إلى الكعبة , ولا يقال صلى لبيت المقدس ولا للكعبة , والصواب إن الذي يصلي ويسجد فيخضع بقلبه ويخشع بفؤاده اعترافاً بعبوديته لا يصلي ولا يسجد إلاَ لله سبحانه وتعالى , وأما السجود فشريعة من الشرائع تتبع طاعة للأمر , ولو أمرنا سبحانه أن نسجد لأحد من خلقه ، لسجدنا طاعةً واتباعاً لأمره وليس لعبادة من أمرنا بالسجود له .

٢- ان آدم عليه السلام لو كان قبلة لم يمتنع ابليس من السجود أو يزعم أنه خير منه , فإن القبلة قد تكون أحجاراً وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين اليها .



٣- أنه لو جعل آدم ﷺ قبلة في سجدة واحدة لكانت القبلة وبيت المقدس افضل منه بآلاف كثيرة اذ جعلت قبلة دائمة في جميع انواع الصلوات , فقصة آدم ﷺ التي قد جعلت منه علماً له وكانت من أفضل النعم التي امتن بها سبحانه عليه ورفعه بها , ولكن جاءت إلى العالم بأنه ليس فيها اكثر من أنه جعله كالكعبة وهذا غير دقيق , ففرض علينا السجود طاعة وامتثالاً لأمره تعالى ؛ فسجود الملائكة لآدم ﷺ عبادة لله وطاعة له وقربة يتقربون بها إليه , وهو لآدم ﷺ تشريف وتكريم وتعظيم . ولا يعكر عليه أن السجود في الإسلام لغير الله محرم لأن هذا شرع جديد نسخ ما كان في الشرائع الأخرى ولأن سجود الملائكة من عمل العالم الأعلى وليس ذلك بداخل تحت تكاليف أهل الأرض فلا طائل تحت إطالة البحث في أن آدم مسجود له أو هو قبلة للساجدين كالكعبة للمسلمين) [٢٠٤] .يقول الشيخ الشعراوي : (فالله سبحانه وتعالى بعد أن ميز آدم ﷺ على الملائكة بعلم الأسماء , طلب منهم أن يسجدوا لآدم ﷺ ، وهنا لابد أن نعرف أن السجود لآدم ﷺ , هو إطاعة لأمر الله , وليست عبادة لآدم ﷺ , فالله سبحانه وتعالى هو الذي أمر الملائكة بالسجود , ولم يأمرهم بذلك آدم ﷺ , ولا يحق له أن يأمرهم ؛ فالأمر بالسجود هنا من الله سبحانه وتعالى ، من أطاعه كان عابداً , ومن لم يطعه كان عاصياً , ومن رد الأمر على الأمر كان كافراً ..... الملائكة هنا لم يسجدوا لآدم ﷺ , ولكنهم سجدوا لأوامر الله بالسجود لآدم ﷺ , وفرق كبير بين السجود لشيء ، وبين السجود لأمر الله , السجود لأمر الله سبحانه وتعالى , لا يعتبر خروجاً على المنهج ؛ لأن الأساس هو طاعة الله) [٢٠٥] . وإنما كانت مبادرة الملائكة بالسجود لآدم ﷺ لأن الذي أمر هو الله سبحانه , وما يأمر به تجب المبادرة إلى تنفيذه مباشرة وبدون تردد ولا اعتراض ولا توقف في تنفيذه على معرفة حكمة هذا الأمر [٢٠٦] . كما جاء تقدير قوله : ﴿ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ أي فانقادوا وأطاعوا ؛ لأن السجود كان نتيجة الانقياد للأمر , وفي قوله : ﴿ قُلْنَا ﴾ التفات وهو لون من ألوان البديع , إذ كان مما سبق هذه الآية أن الخبر عن الله سبحانه قد جاء بصورة الغائب , ثم انتقل إلى ضمير المتكلم وأتى (بِنَا) التي تدل على التعظيم وعلوّ القدرة وتنزيله منزلة الجمع ، لتعدد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة , والحكمة من هذا الالتفات ومجيئه بنون المعظم نفسه ليدل أن الأمر صدر منه للملائكة بالسجود , ووجب عليهم الامتثال ، لذلك جاء الأمر في غاية من التعظيم , ومتى كان الأمر كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر به من غير بطء ولا تأول للأمر الصادر من المعظم [٢٠٧] .وجاء الفاء في قوله:﴿ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ للتعقيب أي تعقيب الأمر بالفعل بدون مهلة فتكون الملائكة قد فهموا الفور من شيء آخر غير موضوع اللفظ ، فلذلك بادروا بالفعل ولم يتأخروا ؛ لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال ، وعدم تلعثمهم في ذلك [٢٠٨] .أما الهيئة التي سجد عليها الملائكة , فالظاهر أن السجود هو بوضع الجبهة على الأرض لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [٢٠٩] ولا يوجد دليل على ذلك ، لأن الذي يجثي على ركبتيه واقع أيضاً , وذهب بعضهم إلى أن السجود لله بوضع الجبهة ، وللبشر بالانحناء [٢١٠] , والسجود سواء كان بالانحناء أو بالجبهة هذا لا يغير من واقع الأمر شيء ؛ لأن سجود الملائكة لآدم ﷺ هو تكريم له وتفضيل وتخصيص بهذه المزية التي ميزه الله سبحانه بها على باقي الخلق .أما بالنسبة للملائكة الذين سجدوا لآدم ﷺ فالخطاب والأمر شمل الجميع وقد سجدوا جميعهم بدليل قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [٢١١] وهذا النص أكد العموم في الأمر والفعل باستثناء ابليس اللعين [٢١٢] .

المطلب الثاني : من هو إبليس :

بعد أن أمر الله سبحانه جميع الملائكة بالسجود لآدم ﷺ تشريفاً وتكريماً لفضيلته المخصوصة به وتعظيماً لشأن خلافته , وعبودية لله سبحانه تعالى فامتثلوا أمره وبادروا بالسجود طاعة له , إلاَّ ابليس وأبى وأستكبر وأمتنع عن السجود لآدم ﷺ وقال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين , لكن مع هذا الاستكبار والزهو والغرور والعصيان لأمر الله سبحانه يتبادر سؤال من هو ابليس ؟ وما علاقته بالملائكة ؟ وهل هو من صنف الملائكة أم من صنف آخر ؟ للعلماء في ذلك أقوال كثيرة يمكن أن نوجزها إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : أنه كان من الملائكة , قاله ابن عباس وابن مسعود ﷺ وسعيد بن المسيّب، واختاره الشيخ أبو الحسن الأشعريّ وأئمة المالكية [٢١٣] وابن جرير الطبريّ [٢١٤] , وهذا قول أكثر المفسرين [٢١٥] ، إذ ذهبوا إلى أن الاستثناء في قوله : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ متصل ؛ لأنه كان من الملائكة لأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه [٢١٦] , ولأنه سبحانه أمر الملائكة بالسجود لآدم , قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ فلو أنه لم يكن من الملائكة ، لما تناوله الخطاب ب – أسجدوا – ، ولو لم يتوجه الأمر إليه بالسجود لم يكن عاصياً ، ولما استحق اللوم والتعنيف [٢١٧] .

الاتجاه الثاني : أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قاله ابن عباس ﷺ في رواية ، والحسن وقتادة [٢١٨] ، واختاره الزمخشريّ [٢١٩] وأبو البقاء العكبري [٢٢٠] فذهبوا إلى أن الاستثناء منقطع ؛ لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٢٢١]، فهو أصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس لأنه تعالى قال:﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[٢٢٢] فهو له ذرية ولا ذرية للملائكة ، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور لما روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي ﷺ قال:(خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم. [٢٢٣], (وظهر بذلك سوء إباء إبليس عن السجود حين خالفهم في طينة الكيان ؛ لأن الملائكة خلقت من نور والنور طوع لا يحوزه أين ولا يختصه جهة ، ولأن الجان خلقت من نار وهي مما يحوزه أين وتختصه جهة لا يرجع عنها إلا بقهر وقسر ، فلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لمخلوق الطين حيث لم يشعر بإحاطة خلق آدم عليه السلام كما تلقته الملائكة) [٢٢٤] , ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٢٢٥] [٢٢٦] . يقول الإمام البيضاوي : (الجن أيضاً كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم ، فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتذلل لأحد والتوسل به ، علم أن الأصاغر أيضاً مأمورون به , والضمير في فسجدوا راجع إلى القبيلين كأنه ، قال فسجد المأمورون بالسجود إلا إبليس) [٢٢٧] . وروي عن الحسن البصري قوله : (ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط)[٢٢٨] .وذهب الزمخشري إلى أن الاستثناء منقطع فهو ليس من الملائكة , وحتى لو كان متصل فإنما تناوله الأمر ، وهو للملائكة خاصة ؛ لأن إبليس لعنه الله كان جنياً واحداً في صحبة الآلاف من الملائكة ، مغموراً بهم فغلبوا عليه , وكان يعبد الله سبحانه عبادتهم ، فلما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام تواضعاً وتكريماً له ، كان الجنيّ الذي معهم أجدر بأن يتواضع [٢٢٩] .

والراجح والله أعلم القول الثاني وهو أن ابليس كان من الجن للأدلة التي ذكرها أصحاب الاتجاه الثاني كما يأتي :

١ – الملائكة منزهون عن المعصية لقوله تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٢٣٠] وإبليس قد عصى أمر ربه .

٢ – الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار فطبيعتهما مختلفة .

٣ – الملائكة لا ذرية لهم وإبليس له ذرية لقوله تعالى : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ [٢٣١] .

٤– النص الصريح الواضح في سورة الكهف على أنه من الجن وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [٢٣٢] وكفى به حجة وبرهاناً[٢٣٣].

٥– كما استدل على أن ابليس ليس من الملائكة بقوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[٢٣٤] فكما لا يجوز على رسل الله سبحانه من البشر الكفر والفسوق فلا يجوز على الملائكة أيضاً [٢٣٥] .

٦– لم تأتي نصوص تخبرنا عن السبب الذي جعل إبليس مع الملائكة , ولهذا لا نتكلف تعيين ذلك حتى لا نذهب إلى الخرافات والإسرائيليات , وبما أن إبليس من الجن , فإن الاستثناء في قوله تعالى :﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ استثناء منفصل كما ذهب إلى ذلك علماء النحو , أي ان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه , ومعنى هذا أن إبليس ليس من جنس الملائكة [٢٣٦] . يقول الإمام الشعراوي : (إن كون إبليس من الجن هو الذي جعله يعصي أمر الله بالسجود , فلو أن إبليس كان من الملائكة وهم مقهورون على الطاعة كان لابد أن يطيع أمر الله ويسجد , ولكن كونه من الجن الذين لهم اختيار في أن يطيعوا وأن يعصوا فذلك الذي مكنه أن يعصي أمر السجود) [٢٣٧] . كما ذهب الإمام محمد الطاهر ابن عاشور إلى أن ابليس ليس من الملائكة فقال:(واستثناء إبليس من ضمير الملائكة في (فسجدوا) استثناء منقطع؛ لأن إبليس لم يكن من جنس الملائكة قال تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ ولكن الله جعل أحواله كأحوال النفوس الملكية بتوفيق غلب على جبلته لتتأتى معاشرته بهم وسيره على سيرتهم فساغ استثناء حاله من أحوالهم في مظنة أن يكون مماثلاً لمن هو فيهم) [٢٣٨] . وذهب إلى هذا الرأي عبد الفتاح الخالدي بقوله:(ولا أدري لماذا يختلف المفسرون والإخباريّون في أصل إبليس: هل هو من الملائكة أو من الجن؟ بعد ورود هذا التصريح القرآني بأنه كان من الجن ولا يمكن أن يكون من الملائكة لأن الملائكة خلقهم من نور, وهم مفطورون على الطاعة والعبادة, وعلى الالتزام والتنفيذ , وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يعصونه .. وإبليس عصى واستكبر, وتمرد وامتنع, فكيف يكون ملكاً من الملائكة؟ وقد شمله أمر الله بالسجود, مع أنه لم يكن من الملائكة, لأنه كان معهم , فشمله الأمر لهم , وانطبق عليه ما ينطبق عليهم. [٢٣٩] .(وابليس اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف وقيل هو عربي واشتقاقه من الابلاس ولم ينصرف للتعريف وأنه لا نظير له في الاسماء وهذا بعيد على أن في

الاسماء مثله نحو اخريط واجفيل واصليت ونحوه) (٢٤٠) . وسمي إبليس بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة الله أي:أيس, وإبليس(إفعِيل)، من الإبلاس، وهو الإياس من الخير والندمُ والمبلس المكتئب الآيس الحزين (٢٤١) قال تعالى: ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾(٢٤٢) , وروي عن ابن عباس ﷺ قوله: (إبليس، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبةً لمعصيته) (٢٤٣) . فكان موقف ابليس اللعين من السجود لآدم عليه السلام أنه : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وأَبى معناه امتنع وأنف من فعل ما أمر به، واسْتَكْبَرَ دخل في الكبرياء أي تكبر وتعاظم في نفسه فالاستكبار الاستعظام، والاستكبار والأنفة تقدما في سلوكه ومعتقده أي قبل أمره بالسجود لآدم عليه السلام, فكأنه كره السجود في حقه واستعظمه بحق آدم عليه السلام , فكان استكباره وعدم اطاعته تسفيهاً لأمر الله سبحانه وحكمته وقد صرح اللعين بهذا الاستكبار في آيات أخرى فقال تعالى حكاية عنه : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (٢٤٤) وقوله : ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٢٤٥) وقوله : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٢٤٦) فكفّره الله سبحانه بتكبره على أمره وتأنفه من أطاعته , فكل من سفه أمر الله تعالى ورسوله ﷺ فحكمه حكم ابليس اللعين وهذا مما لا خلاف فيه (٢٤٧) . وإبليس برفضه السجود لآدم عليه السلام وعصيانه لربه , يعد أول من كفر بالله تعالى , ورفض أوامره وتمرد عليه (٢٤٨) . وروي عن مالك أنه قال:(بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر والشح ، حسد إبليس آدم عليه السلام وتكبر، وشح آدم في أكله من شجرة قد نهي عن قربها)(٢٤٩) . وقال قتادة : (حسد إبليس آدم عليه السلام ، على ما أعطاه الله من الكرامة فقال : أنا ناري وهذا طيني , وكان بدء الذنوب الكبر) (٢٥٠) . فكان المانع من سجود إبليس لآدم عليه السلام هو ادعاء الخيرية – أي الاستكبار– , وأنه لا يجوز أن يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول , ثم بين وجه الخيرية التي ادعى تميزه بها على آدم عليه السلام فقال تعالى حكاية عنه :﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ أي أنا مخلوق من نار والنار أشرف من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام , فنظر اللعين إلى أصل العنصر الذي خلق منه , ولم ينظر إلى التشريف والتعظيم الذي خص الله سبحانه به آدم عليه السلام فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة وعلمه الأسماء كلها , فقاس قياساً فاسداً , كما أنه لم ينظر إلى أن من أمره هو الله سبحانه, ثم أنه حتى في دعواه بأن النار أشرف من الطين ادعاء غير صحيح , فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت , وهو محل النبات والنمو والزيادة , والنار شأنها الإحراق والطيش والسرعة (٢٥١) . يقول أبي حيان عن مغزى تقديم الإبابة على الاستكبار في سياق الآية:(وقدم الإباء على الاستكبار، وإن كان الاستكبار هو الأول ، لأنه من أفعال القلوب وهو التعاظم ، وينشأ عنه الإباء من السجود اعتباراً بما ظهر عنه أولاً ، وهو الامتناع من السجود ، ولأن المأمور به هو السجود ، فلما استثنى إبليس كان محكوماً عليه بأنه ترك السجود .... والمقصود : الإخبار عنه بأنه خالف حاله حال الملائكة , فناسب أن يبدأ أولاً بتأكيد ما حكم به عليه في الاستثناء ، أو بإنشاء الإخبار عنه بالمخالفة ، والذي يؤدي هذا المعنى هو الإباء من السجود) (٢٥٢) . (ومن لطائف اللغة العربية أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة الاستفعال أو التفعل إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلباً الكبر أو متكلفاً له وما هو بكبير حقاً) (٢٥٣) .﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي صار من الكافرين باستكباره على أمر السجود لا بترك العمل بالأمر؛ لأن ترك السجود لا يخرج من الإيمان ولا يكون كفراً ، أو كان في علم الله من الكافرين أي سبق في علم الله سبحانه أنه سيكفر بعد إيمانه ؛ لأنه كان في علم الله تعالى كافراً أبداً ؛ فوجبت له النار لسبق علم الله تعالى بشقاوته(٢٥٤). وقيل يراد بالكفر هنا هو التغطية للحق ، قيل : كفر ابليس هو الجهل بعد العلم , فلا خلاف أنه كان عالماً بالله قبل كفره , فسلبه الله سبحانه العلم عند كفره بعد أن كان قد وهبه أياه ، فعصى وتكبر وخالف الأمر ولم يطع ، وقيل : الكفر هو عناده واستكباره ولم يسلب العلم بل منعه الكبر من السجود (٢٥٥) . قال ابن عطية : (والكفر عناداً مع بقاء العلم مستبعد ، إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء) (٢٥٦) . وسواء كان كفر ابليس جهلاً أو عناداً مما كان في علم الله سبحانه , فالنتيجة واحدة وهي أن كفر ابليس كان باستكباره وعصيانه وعدم اطاعة أمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام . ومن الدلالات والفوائد المستفادة من هذه الآية كما يأتي :

١- في هذه الآية إظهارُ لفضيلة المعرفة , واشارة بديعة لتعظيم شأن العلم والعلماء وجدارتهم بالتعظيم والتبجيل ؛ لأن الله لما علم آدم عليه السلام علماً لم يؤهل له الملائكة , كان حقيقاً عليهم أن يسجدوا له تعظيماً وتبجيلاً بأمر الله سبحانه (٢٥٧) .

٢- استقباح الاستكبار والحسد والتحذير منهما , حيث كانا سبب إبلاس الشيطان ، وامتناع اليهود من قبول الإسلام , وأن الكبر قد يفضي بصاحبه إلى الكفر , وهذا ينبه على أن من المعاصي ما يكون كفراً أو قد تؤدي إلى الكفر .

٣- أن الذي علم الله تعالى مّن حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة ، إذ العبرة بالخواتم وإن كان بحكم الحال مؤمناً .

٤- قررت هذه الآية ان إبليس عدو لبني آدم فيجب عدم إطاعته والانصياع لأمره فهو عدو تجب عداوته أبداً (٢٥٨) .

٥- ومن دلائل قصة آدم عليه السلام في هذه الآية أن بنيه وذريته لا يليق بهم عصيان أوامر الله سبحانه , بل يجدر بهم طاعته وعبادته وحده لا شريك له ؛ لأن الله سبحانه كرم بني آدم بتكريم أصلهم فجعل أبيهم خليفة في الأرض وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته [٢٥٩] .

٦- قد أريد من هذه القصة إظهارُ مزية وفضيلة النوع الإنساني وأن الله يخص أجناس مخلوقاته وأنواعها بما اقتضته حكمته من الخصائص والمزايا لئلا يخلو شيء منها عَنْ فائدة من وجوده في هذا العالم .

٧- إظهارُ ما للنفوس الشريرة الشيطانية من الخبث والفساد ، وبيانُ أن الاعتراف بالحق من خصال الفضائل الملائكية ، وأن الفساد والحسد والكبِر من مذام ذوي العقول [٢٦٠] .

٨- الآية تدل على أن بني آدم مع غاية ضعفهم وقصورهم أولى بالعبودية والطاعة المطلقة لله سبحانه وتعالى ؛ لأن الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على أجرام السموات والأرض وأمنهم من الهرم والمرض والآفات ، لا يتركون العبودية لله تعالى لحظة واحدة [٢٦١] .

٩- أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام هو لأجل آدم ؛ وذلك لأن طاعتهم وعبادتهم لا يترتب عليها ثواب , أو ترتقي بها درجتهم , وإنما راجعة إلى فائدة الإنسان نفسه , فيقتدي بهم في الطاعة ويتأدب بأدبهم في امتثال الأوامر , ويرتدع عن العصيان والاستكبار لئلا يؤدي بهم إلى اللعن والطرد كما أدى ذلك بإبليس , كما أن الله سبحانه من كمال فضله ورحمته ببني آدم أن جعل غاية طاعة الملائكة وتسبيحهم وتحميدهم هو طلب المغفرة للإنسان قال تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢٦٢] فلذلك أمرهم بالسجود لأجلهم وليستغفروا لهم [٢٦٣] .

الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا ، سلطنا الضوء على موضوع من أهم الموضوعات التي تتعلق بالقصص القرآني الا وهي الخصائص التي اختص بها أبينا آدم عليه السلام , وبما أن لكل عمل ثمار ونتائج فقد توصلنا إلى النتائج الآتية :

١- معنى الخلافة عن الله سبحانه وتعالى , سواء كانت مخصوصة بآدام عليه السلام أو باستخلاف الأنبياء والرسل , أو استخلاف عموم بني آدم , هي إقامة دلائل توحيده وتنفيذ أحكام شرعه وأوامره بين الناس , وسياستهم والحكم بالعدل بينهم , والقيام بأمرهم , وتصريف شؤونهم , ورعاية مصالحهم , ودرء المفاسد عنهم .

٢- ليس هناك نصوص صريحة من الكتاب أو السنة ترجح مصدر معرفة علم الملائكة إن الخليفة المجعول في الأرض سيفسد فيها ويسفك الدماء , ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أراد أن نأخذ العبرة والفائدة والعظة من القصة لكي نتعلم ونعتبر ونسترشد منها .

٣- سؤال الملائكة عن افساد الخليفة كان على جهة الاستكشاف والاستعلام , هل هذا هو الخليفة الذي أعلمهم به سبحانه من قبل أو غيره ؛ فكان سؤالهم استخبارٌ , هل يكون الأمر هكذا , كما أنهم علموا أنه ليس هناك شيء ابغض عند الله سبحانه وأكره من الإفساد في الأرض , ولا سيما سفك الدماء – أي قتل النفس المعصومة بدون وجه حق – , فكأنهم استعظموا هذا الأمر ؛ فسألوا عن وجه الحكمة في ذلك إذ علموا أنه عز وجل لا يفعل إلا حكمة ولم يكن سؤالهم على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم عليه السلام والحسد لهم .

٤- ما دار من حاور ومراجعة وقول وسؤال وجواب بين الله سبحانه وملائكته , نحن لا ندرك حقيقته , ولكن نحن على يقين أنه ليس كما يكون بيننا , وأن كنا نجزم بأن هناك مقاصد ودلالات أريد إفادتها بهذه العبارات , وأن الله سبحانه وتعالى كان يعد هذا الكون ويسخره بكل ما فيه لخلفيته , وأن له عنده سبحانه كرامة وتشريف وتخصيص بما أودعه فيه من فضائل ومزايا .

٥- ان كيفية التعليم لآدم عليه السلام سواء كانت بطريقة التلقين , أو بإلقاء علم ضروري في نفس آدم عليه السلام , لا فرق في ذلك بين أن يكون هذا العلم الذي أكتسبه سيدنا آدم عليه السلام بهذه الطريقة أو تلك الطريقة , فالله سبحانه قادر على كل شيء , وهذه القوة العلمية عامة للنوع الآدمي كله , فيكفي في ثبوت هذه القوة لهم معرفة الأشياء بالبحث والاستدلال , فكيفما كانت كيفية التعليم فقد كان سبباً لتفضيل الإنسان على بقية الخلق .

٦- أن المراد بالأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام ابتداءً أسماءُ الذوات من الموجودات مثل الأعلام الشخصية وأسماء الأجناس من الحيوان والنبات والحجر والكواكب مما يقع عليه نظر الإنسان ابتداء أو يسمع عنه باستحضار صفاته.

٧- اعتراف الملائكة بالعجز والقصور عن أمر الخلافة وعما كلفوا به عن علم ما لم يعلموه , وإقرارهم بالعجز هو اقرار بأن علومهم مقصورة على ما ألهمهم به الله سبحانه من العلوم المناسبة لعالمهم وبحسب قابليتهم واستعدادهم وما أمرهم به .

٨- ظهور الدليل العملي على جدارة آدم عليه السلام بالخلافة من خلال اعلامه أي آدم عليه السلام الملائكة بأسمائهم وتفصيلاتها وإقامة الحجة عليهم من قبل الله سبحانه وتعالى .

٩- ان سجود الملائكة لآدم عليه السلام هو سجود تكريم وتفضيل واحترام وتخصيص بهذه المزية التي ميزه بها الله سبحانه على باقي الخلق , وهو بنفس الوقت عبودية لله تعالى طاعة له وامتثالا لأمره .

١٠- ان ابليس كان من الجن للأدلة التي ذكرناها في البحث , أما علاقته بالملائكة ؛ فلم تأتي نصوص من الكتاب أو السنة تبين السبب الذي جعله مع الملائكة , فلا تكلف في تعيين ذلك حتى لا نذهب إلى الخرافات والإسرائيليات .

ختاماً نسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

المصادر والمراجع

١- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره, أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية, ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان , محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت : ٣٥٤هـ) ترتيب : الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ) , تح : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة– بيروت, ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل , محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي–بيروت, ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٤- الأساس في التفسير, سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة , ط١ ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت , لبنان, ط ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٦- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن , أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦): دار الكتب العلمية – بيروت.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل , ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت: ٦٨٥هـ) تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي– بيروت, ط ١ ، ١٤١٨هـ .

٨- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء , قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت: ٩٧٨هـ) تح: يحيى حسن مراد, دار الكتب العلمية , ط، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.

٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير , جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة , المملكة العربية السعودية , ط٥، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس , محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت:١٢٠٥هـ),تح: مجموعة من المحققين: دار الهداية .

١١- التاريخ الكبير , محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ), ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن.

١٢- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد), محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس, ط١– ١٩٨٤هـ .

١٣- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم , أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت : ٩٨٢هـ) ن : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٤- تفسير البحر المحيط, أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ) تح : الشيخ عادل احمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية– بيروت, ط ١ ، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

١٥-تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم, أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت : ٣٧٥ه), تح: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار الكتب العلمية – بيروت , ط١ – ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

١٦-تفسير الشعراوي – الخواطر , محمد متولي الشعراوي (ت : ١٤١٨ه) ،مطابع أخبار اليوم , ط، ١٩٩٧م. .

١٧-تفسير القرآن, تفسير السمعاني, أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩ه) تح : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن – الرياض – السعودية , ط١- ١٤١٨ه- ١٩٩٧م.

١٨-تفسير القرآن, تفسير العز بن عبدالسلام (وهو اختصار لتفسير الماوردي), أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء(ت:٦٦٠ه), تح : د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت , ط١- ١٤١٦ه – ١٩٩٦م.

١٩-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) , محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت : ١٣٥٤ه) ن : الهيئة المصرية العامة للكتاب , ط، ١٩٩٠م. .

٢٠-تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن كثير), أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤ه) تح: محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية – بيروت , ط١- ١٤١٩ه) .

٢١-التفسير القرآني للقرآن, عبد الكريم يونس الخطيب(ت: بعد ١٣٩٠ه) , ن: دار الفكر العربي – القاهرة .

٢٢-تفسير المراغي , أحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١ه) ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر, ط١، ١٣٦٥ه – ١٩٤٦م.

٢٣-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر– دمشق , ط٢ ، ١٤١٨ه .

٢٤-تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل), أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت:٧١٠ه), تح : يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب– بيروت, ط١ ، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.

٢٥-التفسير الواضح , محمد محمود الحجازي ،دار الجيل الجديد – بيروت , ط١٠ ، ١٤١٣ه .

٢٦-التفسير الوسيط للقرآن الكريم, مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية, ط١ ،١٣٩٣ه – ١٩٧٣م. ١٤١٤ه -١٩٩٣م.

٢٧-التفسير الوسيط للقرآن الكريم , محمد سيد طنطاوي ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة – القاهرة , ط١- ١٩٩٧م. .

٢٨-التفسير من سنن سعيد بن منصور, أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت:٢٢٧ه) , تح: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ،دار الصميعي للنشر والتوزيع , ط١ ، ١٤١٧ه – ١٩٩٧م.

٢٩-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦ه), تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة , ط١- ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م. .

٣٠- جامع الاحاديث, الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير , للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١ه), تح: عباس أحمد صقر , أحمد عبد الجواد ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت , ط١ ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

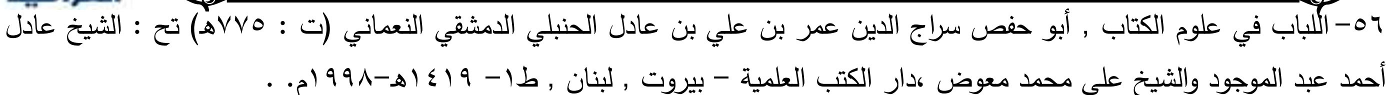
٣١- جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠ه), تح: أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة, ط١، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م. .

٣٢-الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت:٦٧١ه), تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية– القاهرة ط٢، ١٣٨٤ه – ١٩٦٤م. .

٣٣-الجامع الكبير = سنن الترمذي , محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت : ٢٧٩ه) تح : بشار عواد معروف ،دار الغرب الإسلامي – بيروت ط، : ١٩٩٨م. .

٣٤-جمع الجوامع المعروف بـ(الجامع الكبير), جلال الدين السيوطي (ت٩١١ه) تح: مختار إبراهيم الهائج–عبد الحميد محمد ندا– حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف, مطبعة دار السعادة– القاهرة, ط٢،١٤٢٦ ه- ٢٠٠٥م..

٣٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن , أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت : ٨٧٥هـ) , تح : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي – بيروت , ط١- ١٤١٨هـ) .
٣٦- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن , الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي , إشراف ومراجعة: د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي ،دار طوق النجاة – بيروت , ط١- ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. .
٣٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء, أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت , ط، ١٤٠٥هـ) .
٣٨- روح البيان , إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت : ١١٢٧هـ) ن: دار الفكر – بيروت .
٣٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني , شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) تح : علي عبد الباري عطية , ن: دار الكتب العلمية – بيروت , ط١- ١٤١٥هـ) .
٤٠- زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ) تح : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت , ط١- ١٤٢٢هـ .
٤١- صفوة التفاسير , محمد علي الصابوني ،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة , ط١- ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. .
٤٢- الضعفاء والمتروكون , أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت : ٣٨٥هـ) تح : د.عبد الرحيم محمد القشقري ،مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة , ط، : العدد ٥٩، رجب – شعبان – رمضان ١٤٠٣هـ) .
٤٣- الضعفاء والمتروكون , أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي(ت:٣٠٣هـ) تح : محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي – حلب , ط١- ١٣٩٦هـ) .
٤٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان , نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت : ٨٥٠هـ) , تح : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت , ط١- ١٤١٦هـ) .
٤٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت : ١٢٥٠هـ) ،دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت , ط١- ١٤١٤هـ) .
٤٦- قصص الأنبياء , أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ), تح : د. عبد الحي الفرماوي ،دار الطباعة والنشر الإسلامية – القاهرة , ط٥ – ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. .
٤٧- قصص الأنبياء القصص الحق ، عبد القادر شيبة الحمد , مكتبة فهد الوطنية – الرياض , ط٤- ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣هـ) .
٤٨- قصص القرآن الكريم , د. فضل حسن عباس , دار النفائس – عمان , الاردن , ط٣ – ١٤٠٣هـ-٢٠١٠ م. .
٤٩- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته, د. فضل حسن عباس , دار الفرقان – عمان , ط١- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. .
٥٠- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث, د.عبد الفتاح الخالدي , دار القلم- دمشق , الدار الشامية- بيروت, ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٥١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل , أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ) ،دار الكتاب العربي – بيروت , ط٣ – ١٤٠٧هـ) .
٥٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن , أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت : ٤٢٧هـ) تح : الإمام أبي محمد بن عاشور , مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت , لبنان , ط١- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م. .
٥٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي(ت: ١٠٩٤هـ), تح : عدنان درويش – محمد المصري ،مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال , علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت:٩٧٥هـ) , تح : بكري حياني – صفوة السقا ،مؤسسة الرسالة , ط٥- ١٤٠١هـ-١٩٨١م. .
٥٥- لباب التأويل في معاني التنزيل , علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (ت : ٧٤١هـ) , تح: محمد علي شاهين : دار الكتب العلمية – بيروت , ط١- ١٤١٥هـ) .

٥٦- اللباب في علوم الكتاب , أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت : ٧٧٥هـ) تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية - بيروت , لبنان , ط١- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. .

٥٧- لجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري , محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي , تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) , ط١- ١٤٢٢هـ) .

٥٨- لسان العرب , محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت : ٧١١هـ) ن: دار صادر - بيروت , ط، ٣ - ١٤١٤هـ) .

٥٩- لطائف الإشارات = تفسير القشيري , عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) تح : إبراهيم البسيوني , ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر , ط٣) .

٦٠- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين , محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) تح: محمود إبراهيم زايد ،دار الوعي - حلب , ط١، ١٣٩٦هـ) .

٦١- مجموع الفتاوى, تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت : ٧٢٨هـ) , تح : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية ، المملكة العربية السعودية , ط، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. .

٦٢- محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تح : محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية - بيروت , ط١- ١٤١٨هـ) .

٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ), تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية-بيروت, ط١- ١٤٢٢هـ.

٦٤- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة, د. عبدالكريم زيدان ،مؤسسة الرسالة - بيروت , ط١- ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. .

٦٥- المسند الصحيح المختصر, صحيح مسلم , مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ), تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٦٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي , محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) تح : عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي - بيروت , ط١- ١٤٢٠هـ) .

٦٧- معجم مقاييس اللغة , أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) تح : عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. .

٦٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير , أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي - بيروت , ط٣ - ١٤٢٠هـ) .

٦٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة , محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ،دار الكتب العلمية - بيروت , ب د .

٧٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور , إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ،دار الكتاب الإسلامي - القاهرة , ب د .

٧١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد , أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (ت : ٤٦٨هـ) , تح : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط١- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

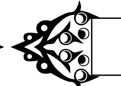
الهوامش

(١) ينظر : سنن الترمذي , كتاب : أبواب فضائل القرآن , باب : ما جاء في فضل القرآن : ٢٢/٥ (٢٩٠٦) .

(٢) مفاتيح الغيب , التفسير الكبير : ٤٢٧/٢ .

(٣) سورة فاطر : من الآية ٣٩ .

(٤) سورة ص : من الآية ٢٦ .


(٥) سورة الأعراف : من الآية ٦٩ .
(٦) سورة يونس : الآية ١٤ .
(٧) سورة البقرة : الآية ٣٠ .
(٨) لطائف الإشارات , تفسير القشيري : ١/ ٧٥ , وينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان : ٢٨٩/١.
(٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٧/١ .
(١٠) البحر المحيط : ٢٨٦/١ , وينظر : تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : ٢٨٧/١ .
(١١) سورة الأعراف : من الآية ١٤٢ .
(١٢) سورة ص : من الآية ٢٦ .
(١٣) لسان العرب , لأبن منظور : ٩/ ٨٣-٨٤ مادة : خلف .
(١٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأيوب بن موسى أبو البقاء : ٤٢٧ .
(١٥) سورة فاطر : من الآية ٣٩ .
(١٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٤٢٧ .
(١٧) سورة ص : من الآية ٢٦ .
(١٨) سورة الأعراف : من الآية ٦٩ .
(١٩) سورة يونس : الآية ١٤ .
(٢٠) ينظر : جامع البيان , للطبري : ٤٥٠/١ , التفسير الوسيط للواحدي : ١١٣/١ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تفسير البغوي :١ /١٠١ ، وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٦/١ .
(٢١) جامع البيان , للطبري : ٤٥٠/١ .
(٢٢) الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٤/١(٣٣) .
وهذا الأثر عن ابن عباس ضعيف بهذا الأسناد لأن فيه بشر بن عمارة الخثعمي ، وهو ضعيف ، قال البخاري في التاريخ الكبير: ٨٠/٢ (١٧٥٦) : (تعرف وتنكر)، وقال النسائي في الضعفاء : ٢٣ (ضعيف) (٧٧) ، وقال الدار قطني في كتابه الضعفاء والمتروكون : ٢٦٠/١ (١٢٥) : (متروك) ، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين : ١٨٩/١ , (١٣١): (كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد ، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته) ولا يهمنا مدى صحة الحديث أو ضعفه فنحن ليس لدينا حكم شرعي انما الاستدلال على لفظة (خليفة) معناها ولماذا جاءت هنا أو الاستدلال بها هنا.
(٢٣) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٦٢/١-٢٦٣.
(٢٤) فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) صحيح مسلم , كتاب : صفة القيامة والجنة والنار , باب : ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام : ٢١٤٩/٤ (٢٧٨٩) .
(٢٥) جامع البيان , للطبري : ٤٥١/١ , وينظر : الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٦/١-٣٧ (٣٣) وفيه يقول : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السُّدِّي ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مُدْرَج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. والله أعلم. .
(٢٦) ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١٢٤/١ .
(٢٧) ينظر : جامع البيان , للطبري : ٤٥١/١ , وتفسير القرآن المسمى تفسير السمعاني : ٦٤/١ ، معالم التنزيل ، تفسير البغوي :١٠٢/١ ، وزاد المسير ، لابن الجوزي : ٥٠/١ ، وتفسير القرآن , للعز ين عبد السلام : ١١٣/١ , وهو قول ابن مسعود ومجاهد .
(٢٨) تفسير القرآن المسمى تفسير السمعاني : ٦٤/١ .
(٢٩) ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١٢٤/١ .

(٣٠) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي : ٦٧/١ .

(٣١) سورة ص : من الآية ٢٦ .

(٣٢) سورة الأعراف : من الآية ٦٩ .

(٣٣) سورة يونس : الآية ١٤ .

(٣٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ١/٨١-٨٢ .

(٣٥) ينظر : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته , د. فضل حسن عباس : ٥٩-٦٠ , وقصص القرآن الكريم , د. فضل حسن عباس : ١٣٤.

(٣٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للثعلبي : ١٧٧/١ , وجاء في جامع الأحاديث : ٢٩٣/١-٢٩٤ (١١٣١)، وجمع الجوامع المعروف بـ (الجامع الكبير) : ٧٢٩/١٥ ، وكنز العمال : ٥٧٩/١٢ (٣٥٨٠٥) بلفظ : (عن رجل من بنى أسد : أنه شهد عمر بن الخطاب ﷺ سأل أصحابه وفيهم طلحةُ وسلمانُ والزبيرُ وكعبٌ ﷺ فقال: إني سائلُكم عن شيء فإياكم أن تكذبوني فتُهلكوني وتهلِكوا أنفسَكم ، أنشدُكم بالله ، أخليفةٌ أنا أم ملكٌ ؟ فقال طلحةُ والزبير : إنك لتسألُنا عن أمر ما نعرفُه ، ما ندرى ما الخليفةُ من الملك ؟ فقال سلمان : يشهد بِلَحْمة ودَمِه إنك خليفةٌ ولست بملك ، فقال عمر: إن تقلْ فقد كنت تدخلُ تَجلسُ مع رسول الله ﷺ ثم قال سلمان : وذلك أنك تعدل في الرعية ، وتَقسم بينَهم بالسوية ، وتَشْفق عليهم شفقةَ الرجلِ على أهلِه ، وتقضى بكتاب الله , فقال كعبٌ : ما كنتُ أحسبُ أنَّ في المجلس أحدًا يعرف الخليفة من الملك غيرى ، ولكنَّ الله ملأَ سَلْمان حكماً وعلماً ، ثم قال كعب : أشهد أنك خليفةٌ ولست بملكٍ , فقال له عمر : وكيف ذاك ؟ قال : أجدك في كتابِ الله. قال عمر: تجدُني بأسمي ؟ قال : لا ، ولكن بِنَعتِك : أجد نُبُوةً ثم خلافةً ورحمة على منهاج نبوةٍ (ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة) ثم مُلْكاً عضوضاً) .

(٣٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للثعلبي : ١٧٧/١ , جمع الجوامع المعروف بـ (الجامع الكبير) : ٦٣٠/١٥ ، وكنز العمال : ٥٦٧/١٢ (٣٥٧٧٧) .

(٣٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للثعلبي : ١٧٧/١ , لم أجد له تخريج في كتب المتون والتخريج والزوائد .

(٣٩) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي : ٤٨/١ .

(٤٠) ينظر : زاد المسير , لابن الجوزي : ٥٠/١ , تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير: ١٢٤/١, ولباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن : ٣٥/١ , فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , للشوكاني : ٧٤/١ .

(٤١) ينظر : مجموع الفتاوى : ٣٨٢/٧ .

(٤٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ .

(٤٣) سورة النحل : من الآية ٥٠ .

(٤٤) مفتاح دار السعادة : ١٢/١ .

(٤٥) ينظر : الكشف والبيان من تفسير القرآن , للثعلبي : ١٧٦/١ , والمحرر الوجيز, تفسير ابن عطية: ١١٧/١ , وزاد المسير: ٥٠/١ , ولباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن: ٣٥/١ , واللباب في علوم الكتاب, لابن عادل : ٥٠٦/١ .

(٤٦) المحرر الوجيز , تفسير ابن عطية : ١١٧/١ , وينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن , للثعالبي : ١/ ٢٠٦ .

(٤٧) ينظر : تفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٤/١ , ومحاسن التأويل , تفسير القاسمي : ٢٨٥/١ , والتفسير الوسيط للقرآن الكريم , محمد سيد طنطاوي : ٩٣/١ .

(٤٨) تفسير القرآن العظيم : ١٢٤/١ .

(٤٩) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن : ٣٥/١ , واللباب في علوم الكتاب , لابن عادل : ٥٠٦/١ .

(٥٠) سورة الحجر : الآية ٢٨ .

(٥١) ينظر : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته , د. فضل حسن عباس : ٥٠ , وقصص القرآن الكريم , د. فضل حسن عباس : ١١٢-١١٣.

(٥٢) ينظر : القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , د. عبد الفتاح الخالدي : ١٠٠/١ .

(٥٣) التحرير والتنوير : ٤٠٢/١-٤٠٣ .

(٥٤) التحرير والتنوير : ٤٠٣/١ .

(٥٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن , للإمام القرطبي : ٢٧٤/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٤/١ , والبحر المحيط , لأبي حيان : ٢٩٠/١ , واللباب في علوم الكتاب , لابن عادل : ٥٠٦/١ , ومحاسن التأويل , تفسير القاسمي : ٢٨٥/١ , والتفسير الوسيط للقرآن الكريم , محمد سيد طنطاوي: ٩٣/١ .

(٥٦) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ .

(٥٧) سورة النحل : من الآية٥٠ .

(٥٨) ينظر : المحرر الوجيز , لابن عطيه : ١١٧/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٤/١ , والبحر المحيط , لأبي حيان : ٢٩٠/١ , واللباب في علوم الكتاب , لابن عادل : ٥٠٦/١ , لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن : ٣٥/١ , الجواهر الحسان في تفسير القرآن , للثعالبي : ٢٠٦/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , عبدالفتاح الخالدي : ٩٩/١.

(٥٩) لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن : ٣٥/١ .

(٦٠) سورة فصلت : من الآية ١١ .

(٦١) جامع البيان في تأويل آي القرآن , للإمام الطبري : ٤٦١/١ , وينظر : تفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٨/١ , التفسير من سنن سعيد بن منصور : **٥٥١/٢ (١٨٥)** (قوله تعالى : ﴿ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حدثنا سعيد , قال : حدثنا مهدي بن ميمون , قال : كنا عند الحسن , فسأله الحسن بن دينار فقال : يا أبا سعيد أرأيت قول الله عز وجل للملائكة : ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ , ما الذي كتمت الملائكة ؟ قال : إن الله تعالى لما خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجباً , فكأنهم دخلهم من ذلك شيء , ثم أقبل بعضهم على بعض , فأسروا ذلك بينهم , فقالوا : وما يهمكم من امر هذا المخلوق ؟ إنَّ الله عز وجل لا يخلق خلقاً الا كنَّا أكرم عليه) , وفي حلية الأولياء : ٣٣٩/٢ رواية عن قتادة بلفظ : (... وذكر لنا أن الله لما أخذ في خلق آدم عليه السلام قالت الملائكة : ما الله بخالق خلقا هو أعلم منا ولا أكرم عليه منا فابتليت الملائكة بخلق آدم وقد يبتلي الله عباده بما شاء ليعلم من يطيعه ومن يعصيه...) .

(٦٢) ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن : ٤٦١/١ , وتفسير القرآن العظيم : ١٢٨/١ .

(٦٣) سورة البقرة : من الآية ٣٤ .

(٦٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٣/١ , وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية : ٧٤/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , عبدالفتاح الخالدي : ٩٨/١ .

(٦٥) ينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان : ٢٨٩/١ .

(٦٦) سورة البقرة : من الآية ٣٤ .

(٦٧) ينظر : البحر المحيط : ٢٨٩/١ .

(٦٨) سورة البقرة : من الآية ٣٣ .

(٦٩) ينظر : البحر المحيط : ٢٨٩/١ .

(٧٠) ينظر: المحرر الوجيز: ١١٧/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٢٨/١ , وقصص الأنبياء , لابن كثير : ١٧ , الجواهر الحسان في تفسير القرآن : ٢٠٥/١-٢٠٦ .

(٧١) ينظر : تفسير المنار ، محمد رشيد رضا : ٢١٢/١ , وتفسير المراغي : ٧٨/١ .

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن , للإمام القرطبي : ٢٦٤/١ , وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن , الشنقيطي : ٢١/١ .

(٧٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي : ٦٨/١ , ومدارك التنزيل وحقائق التأويل , تفسير النسفي : ٧٨/١ .

(٧٤) سورة طه : من الآية ١٢١ .

(٧٥) سورة طه : الآية ١٢٢ .

(٧٦) ينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان : ٢٨٩/١ .

(٧٧) سورة طه : الآية ١١٥ .

(٧٨) سورة الأعراف : من الآية ٢٧ .

(٧٩) ينظر : قصص الأنبياء القصص الحق ، عبد القادر شيبة الحمد : ٣١ .

(٨٠) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

(٨١) ينظر : القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته , د. فضل حسن عباس : ٦٣-٦٤ .

(٨٢) ينظر : محاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٨٦/١ , تفسير المنار ، محمد رشيد رضا : ٢١٣/١ , وتفسير المراغي : ٧٩/١ .

(٨٣) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم , لأبي السعود : ٨٣/١ .

(٨٤) تفسير الشعراوي الخواطر : ٢٤٣/١ .

(٨٥) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم , لأبي السعود : ٨٣/١ , وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير , للشوكاني : ٧٥/١ .

(٨٦) ينظر : محاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٨٦/١ , وتفسير المنار : ٢١٣/١ , وتفسير المراغي : ٧٨/١ .

(٨٧) ينظر : محاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٨٦/١ , وتفسير المنار : ٢١٣/١ , وتفسير المراغي : ٧٩/١ , والتفسير الوسيط , محمد سيد طنطاوي : ٩٤/١ .

(٨٨) ينظر : التفسير القرآني للقرآن , عبد الكريم يونس الخطيب : ٥١/١ , والتفسير المنير : ١٣١/١ .

(٨٩) سورة البقرة : الآية ٣١-٣٢-٣٣ .

(٩٠) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(٩١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : ٣٩٦/٢ , وينظر : تفسير البحر المحيط , لأبي حيان : ٢٩٤/١ .

(٩٢) سورة البقرة : من الآية ٣٠

(٩٣) ينظر : التحرير والتنوير , لابن عاشور : ٤٠٧/١ .

(٩٤) ينظر : المحرر الوجيز , لابن عطيه : ١١٩/١، والبحر المحيط : ٢٩٤/١ .

(٩٥) ينظر : المصدران نفسهما .

(٩٦) ينظر : المحرر الوجيز , لابن عطيه : ١٢٠/١ .

(٩٧) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(٩٨) ينظر : تفسير البحر المحيط ، لأبو حيان : ٢٩٥/١ .

(٩٩) ينظر : تفسير المنار : ٢١٩/١ , وتفسير المراغي : ٨٢/١ , والتحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤١٠/١-٤١١ , والتفسير المنير , للزحيلي : ١٣٠/١ .

(١٠٠) المحرر الوجيز , لابن عطيه : ١٢٠/١ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٢٨٢/١ , لم أجد له تخريج في كتب المتون والتخريج والزوائد .

(١٠١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تفسير الثعلبي : ١٧٨/١ , لم أجد له تخريج في كتب المتون والتخريج والزوائد .

(١٠٢) جامع البيان :٤٨٢/١-٤٨٤ , وينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٣٠/١-١٣١ , الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٣٥/١ (٣٣) وقال فيه : هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر، يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس ﷺ يروى به تفسير مشهور .

(١٠٣) ينظر : جامع البيان , للطبري :٤٨٣/١-٤٨٦ , تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ١٣٠/١-١٣١ , وقصص الأنبياء , لابن كثير : ١٨ .

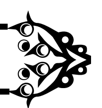
(١٠٤) جامع البيان , للطبري :٤٨٥/١ .

(١٠٥) سورة النور : ٤٥ .

(١٠٦) تفسير القرآن العظيم : ١٣١/١ , وينظر : قصص الأنبياء , لابن كثير: ١٨ , والتفسير الكبير , للرازي : ٢/ ٣٩٨ .

(١٠٧) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن , باب قول الله { وعلم آدم الأسماء كلها } (٤٤٧٦) : ١٧/٦ .

(١٠٨) ينظر : التفسير القرآني للقرآن : ٥٢/١ , التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤٠٩/١ .



(١٠٩) ينظر : لطائف الإشارات , تفسر القشيري : ٧٦/١ , والجامع لأحكام القرآن : ٢٨٢/١ , والبحر المحيط , لأبي حيان : ٢٩٥/١ , والتحرير والتنوير : ٤٠٩/١ .

(١١٠) ينظر : تفسير المنار : ٢١٩/١ , وتفسير المراغي : ٨٣/١ , والتحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤١١/١ .

(١١١) ينظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان : ٢٩٥/١ .

(١١٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٩/١ , وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم , تفسير أبي السعود : ٨٤/١ , وروح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠١/١ , ومحاسن التأويل , للقاسمي : ٢٨٧/١ .

(١١٣) ينظر : التفسير الوسيط : , الواحدي : ١١٧/١ , وتفسير المراغي : ٨٣/١ , والتحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤١٢/١ , والتفسير الوسيط , محمد سيد طنطاوي : ٩٥/١ .

(١١٤) ينظر : جامع البيان ، للطبري : ٤٩١/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٣٢/١ , وأنوار التنزيل أسرار التأويل : ٦٩/١ , والتحرير والتنوير : ٤١٢/١-٤١٣ .

(١١٥) ينظر : لطائف الإشارات , تفسير القشيري : ٧٧/١ .

(١١٦) سورة البقرة : الآية ٣٢ .

(١١٧) ينظر : التفسير الوسط , الواحدي : ١١٨/١ , وأنوار التنزيل وأسرار التأويل , للبيضاوي : ٦٩/١ , وروح المعاني الألوسي : ٢٢٨/١ .

(١١٨) جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٩٣/١ .

(١١٩) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(١٢٠) ينظر : روح المعاني , الألوسي : ٢٢٨/١ , والتحرير والتنوير : ٤١٣/١-٤١٤ .

(١٢١) ينظر : تفسير المراغي : ٨٤/١ , والتحرير والتنوير : ٤١٤/١ , وتفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٣/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , د. عبد الفتاح الخالدي : ١٠٨/١ .

(١٢٢) ينظر : التفسير الوسيط , محمد سيد طنطاوي : ٩٥/١ .

(١٢٣) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(١٢٤) البحر المحيط : ٢٩٧/١ .

(١٢٥) ينظر : المصدر نفسه .

(١٢٦) التفسير الكبير مفاتيح الغيب , تفسير الرازي : ٤٢٤/٢.

(١٢٧) ينظر : البحر المحيط : ٢٩٧/١-٢٩٨ , وتفسير المراغي : ٨٤/١ , وتفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٤/١ .

(١٢٨) ينظر : جامع البيان , للطبري :٢٩٥/١-٢٩٦ , ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي : ١٤٧/١-٢٤٨, والتفسير الوسيط , طنطاوي : ٩٦/١ .

(١٢٩) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤١٤/١ .

(١٣٠) ينظر : تفسير الشعراوي , الخواطر : ٢٥٠/١-٢٥١ .

(١٣١) سورة الأنعام : من الآية ١٢٤ .

(١٣٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , د. عبد الفتاح الخالدي : ١٠٨/١ .

(١٣٣) سورة البقرة : الآية ٣٣ .

(١٣٤) ينظر : قصص القرآن الكريم ، فضل حسن عباس : 116 .

(١٣٥) التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤١٦/١-٤١٧ .

(١٣٦) ينظر : المصدر نفسه .

(١٣٧) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٩١/١-٤٩٢ , والتفسير الوسيط ، للواحدي : ١١٨/١ , وزاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي : ٥٣/١ , وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ٢٢٥/١ , والبحر المحيط : ٢٩٨/١ .

(١٣٨) ينظر : الكشاف ، للزمخشري : ١٢٥/١ .



(١٣٩) سورة البقرة : من الآية ٣١ .

(١٤٠) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ , وروح المعاني : ٢٢٧/١ , وتفسير المراغي : ٨٤/١ , وتفسير حدائق الروح : ٣٠٥/١ .

(١٤١) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(١٤٢) سورة البقرة : من الآية ٣٢ .

(١٤٣) سورة المائدة : من الآية ٢٧ .

(١٤٤) سورة البقرة : من الآية ٢٥٩ .

(١٤٥) ينظر : تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان : ٢٩٨/١ .

(١٤٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن , للإمام القرطبي : ٢٨٨/١ , تفسير المراغي : ٨٤/١ , وتفسير حدائق الروح والريحان : ٣٠٤/١ .

(١٤٧) سورة النمل : من الآية ٤٠ .

(١٤٨) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ , روح المعاني , تفسير الألوسي : ٢٢٧/١ .

(١٤٩) ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان : ٣٠٥/١ – ٣٠٦ .

(١٥٠) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(١٥١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ٥٠٠/١، تفسير القرآن العظيم, لابن كثير: ١٣٣/١, وزاد المسير: ٥٣/١ , وتفسير البحر المحيط : ٣٠٠/١ وتفسير المراغي: ٨٤/١ .

(١٥٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي : ٧٠/١ , وإرشاد العقل السليم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ , ومحاسن التأويل , تفسير القاسمي : ٢٨٨/١ ، والتفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي : ٩٦/١ , وتفسير حدائق الروح والريحان : ٣٠٦/١ ، والتفسير الوسيط , مجمع البحوث : ٧٦/١.

(١٥٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٠٠/١–٥٠١ ,وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٣٣/١–١٣٤ , والمحرر الوجيز : ١٢٣/١ , وروح المعاني : ٢٣٠/١ .

(١٥٤) ينظر : لطائف الإشارات : ٧٧/١ , وروح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠١/١ , وتفسير حدائق الروح والريحان : ٢٩٩/١ .

(١٥٥) ينظر : روح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠١/١ , وتفسير المراغي : ١/ ٨٣ , والتفسير المنير : ١٣٠/١–١٣١ , وتفسير حدائق الروح والريحان : ٢٩٩/١ .

(١٥٦) ينظر : التفسير الواضح , محمد محمود حجازي : ٣١/١ ، والتفسير المنير ، للزحيلي : ١٢٦/١ .

(١٥٧) ينظر : الأساس في التفسير , سعيد حوى : ١٢٠/١ .

(١٥٨) ينظر : روح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠١/١ , وتفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٢/١ .

(١٥٩) سورة الزمر : من الآية ٩ .

(١٦٠) ينظر : مفتاح دار السعادة , لابن القيم : ٥٢/١–٥٣ , روح البيان , اسماعيل حقي بن مصطفى : ١٠٢/١ , وتفسير المراغي : ٨٥/١ ، وتفسير حدائق الروح والريحان : ٣٠٦/١ , والتفسير المنير : ١٣١/١ .

(١٦١) ينظر : بحر العلوم , السمرقندي : ١٠٩/١ , وروح البيان : ١٠١/١ , وتفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٢/١.

(١٦٢) ينظر : تفسير المراغي : ٨٥/١ ، وتفسير حدائق الروح والريحان : ٣٠٦/١ , الأساس في التفسير , سعيد حوى : ١٢١/١ .

(١٦٣) ينظر : الأساس في التفسير , سعيد حوى : ١٢١/١ .

(١٦٤) ينظر : جامع البيان , للطبري : ٤٩٤/١ .

(١٦٥) ينظر : التفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي : ٩٦/١ .

(١٦٦) ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، : ٤٢٥/٢ , إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ –٨٧ .

(١٦٧) ينظر : البحر المحيط : ٢٩٧/١–٢٩٨ , وروح البيان : ١٠١/١ , وتفسير المراغي : ٨٤/١ ، وتفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٤/١.

(١٦٨) التفسير المنير : ١٣١/١ .

(١٦٩) ينظر : روح البيان : ١٠٢/١ تفسير حدائق الروح الريحان : ٣٠٤/١ .

(١٧٠) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٦/١ , والأساس في التفسير , سعيد حوى : ١٢٠/١ .

(١٧١) ينظر : التفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي : ٩٦/١ .

(١٧٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي : ٧٠/١ , وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ -٨٧ .

(١٧٣) ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، : ٤٢٥/٢ , وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي : ٧٠/١ , والتفسير الوسيط , مجمع البحوث : ٧٦/١ .

(١٧٤) سورة الصافات : الآية ١٦٤ .

(١٧٥) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي : ٧٠/١ , وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٦/١ -٨٧ .

(١٧٦) سورة البقرة : الآية ٣٤ .

(١٧٧) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

(١٧٨) قصص الأنبياء , لابن كثير : ١٨ .

(١٧٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي : ٧٠/١ .

(١٨٠) سورة البقرة : من الآية ٣٠ .

(١٨١) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٠٢/١ , والتفسير الكبير مفاتيح الغيب : ٤٢٧/٢ , وارشاد العقل السليم تفسير أبي السعود : ٨٧/١ , والتحرير والتنوير : ٤٢١/١ , والتفسير الوسيط , طنطاوي : ٩٧/١ , والتفسير الوسيط , مجمع البحوث :٧٧/١ .

(١٨٢) ينظر : البحر المحيط : ٣٠١/١ , والتفسير القرآني للقرآن ، للخطيب : ٥٤/١ .

(١٨٣) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٥١٠/١ , والبحر المحيط : ٣٠١/١ .

(١٨٤) التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٣٩٧/١ .

(١٨٥) سورة يوسف : من الآية ٤ .

(١٨٦) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .

(١٨٧) ينظر : معجم مقاييس اللغة , لابن فارس : ١٣٣/٣ مادة سجد ، ولسان العرب , لابن منظور : ٢٠٤/٣ مادة سجد , وتاج العروس , لمرتضى الزبيدي : ٨/ ١٧٢-١٧٣ مادة سجد .

(١٨٨) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية , أبو البقاء الحنفي : ٥١٣ .

(١٨٩) سورة الرحمن : الآية ٦ .

(١٩٠) سورة الرعد : من الآية١٥ .

(١٩١) ينظر : أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء , قاسم بن عبد الله بن علي القونوي : ٢٧ , والكليات : ٥١٣ , التفسير المنير , للزحيلي : ١٣٣/١.

(١٩٢)عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل حائطاً من حوائط الأنصار , فإذا فيه جملان يضربان ويرعدان فاقترب رسول الله ﷺ منهما فوضعا جرانهما بالأرض فقال من معه : سجد له , فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد , ولو كان أحد ينبغي أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله عليها من حقه) صحيح ابن حبان : كتاب النكاح , باب : ذكر تعظيم الله جل وعلا حق الزوج على زوجته : ٤٧٠/٩ (٤١٦٢) قال عنه شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح إسناده حسن , قال الالباني عنه في كتابه أرواء الغليل : ٥٤/٧ (١٩٩٨) إسناده حسن .

(١٩٣) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن , تفسير الثعلبي : ١٨٠/١ , والتفسير الكبير مفاتيح الغيب : ٤٢٧/٢ , تفسير القرآن العظيم: ١٣٩/١.

([194]) ينظر : الكشف والبيان , تفسير الثعلبي : ١٨٠/١ , والوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١٢٠/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٣٩/١ .

([195]) ينظر : الكشف والبيان , تفسير الثعلبي : ١٨٠/١ , والتفسير الكبير مفاتيح الغيب : ٤٢٨/٢ , والجامع لأحكام القرآن , للقرطبي : ٢٩٣/١ .

([196]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٥١٢/١ , ولطائف الإشارات : ٧٩/١ , والوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١١٩/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , د. عبدالفتاح الخالدي : ١١٠/١ .

([197]) ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب : ٤٢٧/٢-٤٢٨ .

([198]) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٣٩/١ , البحر المحيط : ٣٠٣/١ , والاساس في التفسير , سعيد حوى : ١١٧/١ .

([199]) ينظر : التفسير الكبير مفاتيح الغيب : ٤٢٨/٢ .

([200]) تفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٣٩/١ .

([201]) ينظر : مجموع الفتاوي : ٣٥٨/٤ , ومحاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٨٩/١-٢٩٠ .

([202]) سورة فصلت : من الآية ٣٧ .

([203]) سورة الرعد : من الآية ١٥ .

([204]) التحرير والتنوير , لابن عاشور : ٤٢٢/١ .

([205]) تفسير الشعراوي الخواطر : ٢٥٤/١ .

([206]) ينظر : المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة , د. عبدالكريم زيدان : ٢٧/١ .

([207]) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٠٢/١ , وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبي السعود : ٨٧/١ .

([208]) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٠٢/١ , وإرشاد العقل السليم : ٨٧/١ .

([209]) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

([210]) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٠٣/١ .

([211]) سورة ص : الآية ٧٣ .

([212]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١١٩/١, وتفسير القرآن , للسمعاني : ٦٦/١ , وزاد المسير في علم التفسير : ٥٤/١ , وتفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ١٤٠/١ , وقصص الانبياء , لابن كثير : ٢٣ .

([213]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٠٣/١-٥٠٨ , والوسيط في تفسير القرآن المجيد , للواحدي : ١٢٠/١ , وتفسير القرآن تفسير السمعاني : ٦٧/١ , وزاد المسير في علم التفسير : ٥٤/١ , والجامع لأحكام القرآن , للإمام القرطبي : ٢٩٤/١ , والبحر المحيط : ٣٠٣/١ .

([214]) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٠٨/١ .

([215]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١٢٠/١ , وتفسير القرآن تفسير السمعاني : ٦٧/١ , ومعالم التنزيل في تفسير القرآن , تفسير البغوي : ١٠٤/١ .

([216]) ينظر : مدراك التنزيل وحقائق التأويل , تفسير النسفي : ٥٩/١ .

([217]) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان تفسير النيسابوري : ٢٤١/١ , ومحاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٩٠/١ .

([218]) ينظر : تفسير القرآن تفسير السمعاني : ٦٧/١ , ومعالم التنزيل , للبغوي : ١٠٤/١ , وزاد المسير في علم التفسير : ٥٤/١ .

([219]) ينظر : الكشاف : ١٢٦/١ .

([220]) ينظر : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ٣٠/١ .

([221]) سورة الكهف : من الآية ٥٠ .

([222]) سورة الكهف : من الآية ٥٠ .

([223]) صحيح مسلم , كتاب : الزهد والرقائق , باب : في احاديث متفرقة : ٢٢٩٤/٤ (٢٩٩٦) .

([224]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور , للبقاعي : ٢٥٥/١-٢٥٦ .

(٢٢٥) سورة التحريم : من الآية ٦ .

(٢٢٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن , للإمام القرطبي : ٢٩٤/١ , ومدراك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي : ٥٩/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ,عبد الفتاح الخالدي : ٨٨/١ .

(٢٢٧) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧١/١ .

(٢٢٨) تفسير القرآن العظيم . لابن كثير : ١٣٨/١ .

(٢٢٩) ينظر : الكشاف : ١٢٦/١ , ومحاسن التأويل تفسير القاسمي : ٢٩٠/١ .

(٢٣٠) سورة التحريم : من الآية ٦ .

(٢٣١) سورة الكهف : من الآية ٥٠ .

(٢٣٢) سورة الكهف : من الآية ٥٠ .

(٢٣٣) ينظر : صفوة التفاسير , للصابوني : ٤٥/١ , والتفسير المنير : ١٣٥/١ .

(٢٣٤) سورة فاطر : من الآية ١ .

(٢٣٥) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٠٣/١ .

(٢٣٦) ينظر : القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , عبد الفتاح الخالدي : ١١١/١.

(٢٣٧) تفسير الشعراوي الخواطر : ٢٥٦/١ .

(٢٣٨) التحرير والتنوير : ٤٢٣/٢ .

(٢٣٩) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ١١١/١.

(٢٤٠) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : ٣٠/١ .

(٢٤١) ينظر : معجم مقاييس اللغة , لابن فارس : ٣٠٠/١ مادة : بلس , ولسان العرب : ٢٩/٦ مادة : بلس .

(٢٤٢) سورة المؤمنون : من الآية ٧٧ .

(٢٤٣) جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٠٩/١ , وينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٣٥/١-١٣٦ , والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٣٥/١ (٣٣) وقال فيه هذا سياق غريب ، وفيه أشياء فيها نظر ، يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن باس يروى به تفسير مشهور .

(٢٤٤) سورة ص : الآية ٧٦ .

(٢٤٥) سورة الأسراء : من الآية ٦١ .

(٢٤٦) سورة الحجر : الآية ٣٣ .

(٢٤٧) ينظر : المحرر الوجيز : ١٢٥/١ , والجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/١ .

(٢٤٨) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , عبد الفتاح الخالدي : ١١٢/١.

(٢٤٩) المحرر الوجيز : ١٢٥/١ , وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/١ ..

(٢٥٠) الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/١ .

(٢٥١) ينظر : تفسير القرآن العظيم , لابن كثير : ٣٥٣/٣ , وقصص الأنبياء , لابن كثير : ٢٠ , والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة , د. عبدالكريم زيدان : ١٤/١ .

(٢٥٢) تفسير البحر المحيط : ٣٠٤/١ .

(٢٥٣) التحرير والتنوير , لابن عاشور: ٤٢٥/١ .

(٢٥٤) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي : ٥٩/١ .

(٢٥٥) تفسير البحر المحيط : ٣٠٤/١ .

(٢٥٦) المحرر الوجيز : ١٢٦/١ .

(٢٥٧) ينظر : التحرير والتنوير , لابن عاشور: ٤٢٢/١ , والقصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث , د. عبدالفتاح الخالدي : ١١٠/١ .

(٢٥٨) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي : ٧٢/١ , وروح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠٥/١ , وأيسر التفاسير , للجزائري : ٤٤/١ .

(٢٥٩) ينظر : التفسير المنير , للزحيلي: ١٣٣/١ .

(٢٦٠) ينظر : التحرير والتنوير ، لابن عاشور : ٤٢١/١.

(٢٦١) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان تفسير النيسابوري : ٢٤٢/١ .

(٢٦٢) سورة الشورى : من الآية ٥ .

(٢٦٣) ينظر : روح البيان , اسماعيل حقي أبو الفداء : ١٠٤/١ .